د .صالح الفهدي

أعمال مسرحية - ٢

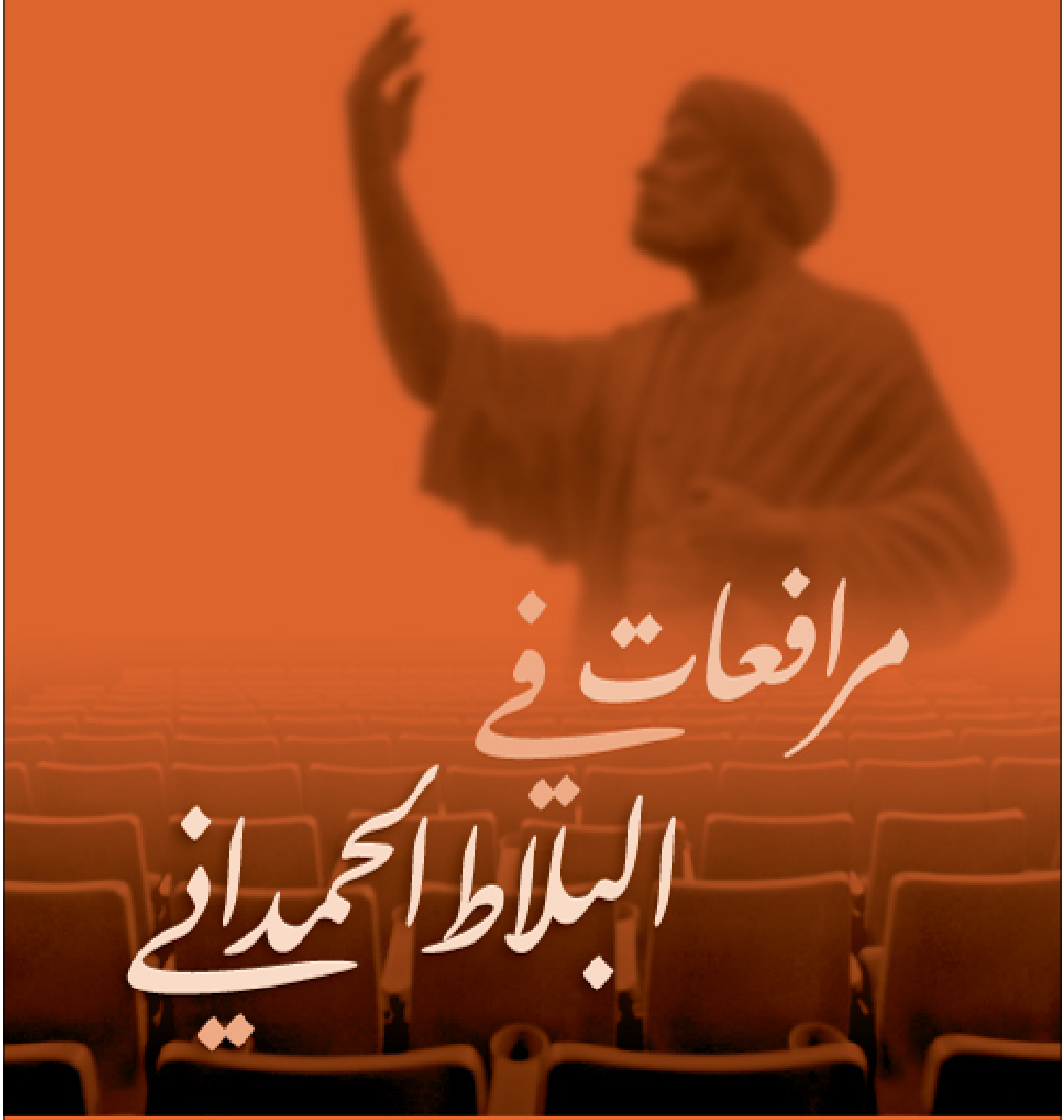

مرافعات في البلاط الحمداني

دار الفكر
آفاق معرفة متجددة
www.fikr.com

المحتوى

مرافعات في البلاط الحمداني ٧

أرجمند ملحمة الحب والوفاء ١٢٥

وطن ١٥٩

عذابات سرمدية ١٨١

صفحة بيضاء
رقم ٦

المسرحية الشعرية

مرافعات في البلاط الحمداني

صفحة بيضاء

رقم ٨

مقدمة للبدء

حين كان المسرح، يعني تمسرح الشعوب على ذواتها بما تحمله من مشاعر وأحاسيس ورؤى وتطلعات وأحلام وأماني بشكليها التراجيدي/ المأساوي والكوميدي / الهزلي، فإنه قد ظل طوال مدد من الدهر ولا يزال مستقطباً للاهتمامات الثقافية، انعكاساً للنازع في التعبير الذي يلسع الضمير، فيصر على مزاولة الحياة في حرية وانطلاقة، ثم إن ديمومته بهذه الحيوية تأتي بسبب من الإبداع الفني الذي تتسم به أعماله المعروضة حين تكثف أعمق وأبعد اللحظات والظروف والمواقف الإنسانية، وتختزل أبعاد الزمان والمكان، فكان جديراً بحق أن يلقب بأبي الفنون..

وهذه المسرحية تأتي كمغامرة إخالها الأولى من نوعها لدى وسطنا الثقافي الذي لم يزل يؤسس العناصر الجنينية الأولى لمفهوم مسرح (بالرغم من المغالطات التي تتسم بها هذه اللفظة، في الشكل والعناصر إثر التقليد للغرب) وقد كتبتها بلغة شعرية، استسلمت في كثير من أحيانها إلى الشاعرية، وهذا ما لا يمكن تجاوزه، غير أنني استثمرت ملكة الخلق الحواري الذي يمكن أن يسبر أعماق الشخصيات ويلوح

للظروف الزمانية بأبعادها الثلاثة، موظفاً البيئة التراثية لإسقاط فني، يهدف إلى خلع ثوب الفنية الزاهي، ويرمي إلى قراءة أخرى، آملاً في ذات الوقت أن يجد العمل اهتماماً يتمثل في وجود مخرج يستطيع أن يكتب هو ذاته نصه الذي يتواءم مع فكرة هذا النص، وممثلين قادرين على العطاء الفني لخدمة العمل..

والله الموفق

المؤلف

شخصيات المسرحية

- **الأمير سيف الدولة الحمداني**
- **الأمير أبو فراس الحمداني**
- **الأمير أبو المعالي (ابن سيف الدولة)**
- **أبو الطيب المتنبي**
- **ابن خالويه**
- **فرغويه (قائد الجيش - من أصل تركي)**
- **أم أبي فراس**
- **زوجة سيف الدولة**
- **أميرة**
- **وجدان**
- **الوزير المهلبي**
- **زيد (خادم المتنبي)**
- **حاشية الأمير سيف الدولة**

- **حاشية الأمير أبي المعالي (الجلاس، الغواني، الغلمان، الفرقة الموسيقية)**

- **مجموعة درك (بمن فيهم أصحاب الأدوار القصيرة)**

الفصل الأول

المشهد الأول

(أبو فراس بزيِّه العسكري، فاتناً، شامخاً بقامته، تبدو عليه سيماء القلق فهو ينتظر حبيبته أميرة، بينما يسود الظلام زوايا المسرح الثلاث يضيء في الجزء الأكبر من خشبة المسرح، وبعد فترة قصيرة يبين على قسماته الارتياح مما يستدل به على وصول صاحبه، وفي زاوية قصية يرى ابن خالويه على طاولة عليها إسقاط ضوء ضعيف وهو منشغل في كتاباته)

أبو فراس

أتماهى كدت على جمر اللوعة والشوق
فتسلل ظنٌّ بين خلاياكْ
كاد يزيغُ بيَ التوهانْ.. أتناثرُ جزءاً تلو الآخرْ!
لكنك أبقيت على كلِّي - يا كلِّي - وفككت الطوق

أميرة

(**بغنج**) هل تحسب شيمتي الغدرْ؟

أبو فراس

هل تعذرني فاتنتي، كي أحتفظ لقلبي بالسر؟

أميرة

ربَّ الغنَج يماكر قلبي ليس الغدر!

أبو فراس

آهٍ، آهْ... تخبر فاتنتي بحاراً مثلي!!
بحاراً يعرف كيف يهدهد أمواج البحر الطامي
بحاراً يعرف كيف يسفُّ الريح ظفائر للخلجان
آهٍ.. لو تدرين أميرة.. **(يبدو الخبير المتمكن من تجارب عشقه)**

أميرة

عيبك أنك تجهر لا تحفظ سر
السرُّ لديك وعاءٌ مثقوبْ!!

أبو فراس

حين أكون ضعيفاً..!

أميرة

(باستغراب) أنت...ضعيفٌ!!

أبو فراس

حين أخوض الجيش اللَّجب فأقهره كي أصل إليك فلا تلقين
إليِّ من الشرفة نظرة دفء.

أميرة

ماذا كنت تريد يا فارس فرسان حلب؟

أبو فراس

أغرس في خصلات الشعر أصابع حلمي
ثم أجدِّفْ، تصبحُ عيناك الخضراوان حقولي
أصبح ملك الدنيا

أميرة

يقيناً تعرف كيف تجدِّف في بحر الكلمات..

أبو فراس

وبحر الروح!!

أميرة

أوَلستَ تقاتل من أجل المبدأ؟

أبو فراس

المبدأ أنت..
أميرةَ قولي.. هل يسمع قلبك زخات فؤادي
تحملها نسمات الليلْ
حين أكون أنا في وسط الميدانِ
أجندل فرسان الطغيانْ
أناديك أميرة.. " هذا من أجلك يا سيدة الماء"!!
(تسكت، يضيف)
قولي..أين أنا من قلبك هاه؟! كم عشاقك قولي؟!

أميرة

كثرٌ لا أحصيهم
كثرٌ كنباتات الأرضِ..

أبو فراس

كفقاعات هم، ما إن تلهب أسياط الشمس ظهور الأرضْ
حتى تتفرقع كالبالون!

أميرة

يبدو أنك مزهوٌّ...

أبو فراس

مزهوٌ، مغرورٌ، لا يعنيني، لكني أبدع
كلماتي كي تصقل سيفي
وفتوة قلبي تمنحُ خصباً كل خريفْ

أميرة

هل تعلم أن أمير حلب سيف الدولة أقدَم عشَّاقي،
أجسرهم بالحظوة عندي؟!

أبو فراس

لولا علمي ما اشتقت لوصلكْ!!
ما ذبت لهسهسة الثوب المتنعم بجمالكْ..
يا فتنة هذي الدنيا

أميرة

آهٍ من خبث لسانك

مع أنك مازلت فتيّاً لم يصقلك العشق
قل لي.. هل تقوى حُمَّاهُ؟

أبو فراس

أصقلني الشعر، وأنضجني السيف،
وما كان سوى وجهك
مدعاة بسالةَ قلبي، حمَّاهُ، هل تعديني الظفر؟

أميرة

(**بدهشة واستنكار**) ومولاي أميري وأميرك، هل أتمرد في أعطاف مكارمهِ
أتسامى فوق رغائبه؟

أبو فراس

من يخدم سيف الدولةْ، أو يخدم هذا الوطن أكثر مني؟
حين أكون أنا الصدر لحربات الروم
أنا السهم المطلق من قوس أمير حلب، هل ينكرني سيف الدولة؟
أدفع روحي كي يحيا سيف الدولهْ
كي يرغد شعبي
أفيطعنني سيف الدولة من ظهري؟

(تسكت، يدفع الإنكار بالضحك طرداً للشك)

أميرةُ...ليس إلى هذا الحد..

أميرة

يعجبني فيك الشأو النابضِ
يسمق قومة حبِّي
هل يمنحني سيف الدولة - عفواً - إيَّاكْ؟!

أبو فراس

يمنحك - مكافأةً - إيايَ
وسوف ترين النبع الفوارْ
حين أضُخُّكِ عشقاً مجنوناً، أو خصباً يتقيأ تخمتهُ
هل تعديني الظفر بقلبك؟

أميرة

إن..

أبو فراس

إن كنت ترينَ بأني فارسك الأجملْ
إن كنت تريني المستقبلْ

أميرة

أبو فراس
أنت فتوة هذي الأرض، وأبسل فتيان حلبْ
لكن..

أبو فراس

لكن..!!

أميرة

لا أتخطى الحدَّ الفاصلَ ما بين النزوةِ والتفكيرْ
وعدي ينجزهُ الضوءُ الأخضرُ من مولانا سيف الدولة

أبو فراس

أملكه إذ يملكه الصِّهر وابن العم،
العارفُ بي أعمقُ من نفسي،
بل ينجزه عزمي الأوحد
أحملهُ في كفي وأنا منحدرٌ نحوك
يتعلق في أكتافي السيفُ الأحمرْ
أحضنك بأثوابي الحمراء
أبشِّركِ النصر، وأسألك الظفر

أميرة

حتماً سأكون هنا، سأكون
فلا تشغل قلبك بالظن

أبو فراس

أخشى الغدر

أميرة

من سيف الدولةِ؟

أبو فراس

بل منكِ يا ذات الحسن الباهر
سيف الدولة أعظم عندي من ذرة شكْ

أميرة

اذهب للحرب الدامية
وقاتل لا بالسيف، بقلبي
عد لي منتصراً، أسمعُ ضحكاتك
في حلق الريحْ

(يمسك كل منهما بيد الآخر ثم ينسحب أبو فراس من المسرح، وتبدأ أميرة تحدث نفسها في إيقاعات راقصة)

أميرة

آه.. ارجع لي ينبوع عطاء
ارجع تتجدد أحلامي
أطلق ماءك في وجداني
أنبتُ زهره أو نخله
أصبح بستاناً
والشعب براعم في أفيائي
أعرفك سترجع
كورال **(أشبه بأشباح تلبس أثواباً بيضاء وكأنها من عالم غير بشري، عالم الجان)**
لا يرجع.. سوف يموتْ

أميرة

يرجع منصوراً

كورال

لا يرجعُ.. يؤسر أو يقتلْ

أميرة

يرجعُ..يرجعُ..يرجعْ
(**بخوف**) لم لا يرجع يا جنيات الأرض..؟!
أحتاج إليه شباباً فواراً
يصنع لي في كفيهِ المستقبل
ينثرني حلماً
ويغنِّيني شمساً تشرقْ
وبلاداً تسمو

ابن خالويه

(يتكلم بصوت جهوري ويكتب ولا يلتف إليها وهي لا تلتفت إليه حين ترد بل تظل هائمة سرحانة)

حين يكون الشوق هلامياً يسقط
من روزنامة كل الآمالْ

أميرة

لكن الحب سيبني...

ابن خالويه

(**مقاطعاً**) الحب لقيطٌ في زمن القوة

الكورال

زمن القوة يتفنن في التشويه..

أميرة

والعقل الراشدْ

ابن خالويه

سيداهن بخرافات زائفة الحبكةِ، خاويةُ التصوير

أميرة

والقلب إذا استيقظ..

ابن خالويه

(**مقاطعاً**) ليس يرى في الدنيا غير القيد

الكورال

القلب خواءْ.. من ينصت للقلب؟!

أميرة

لكن الشمس ستخترق الجدران، تصهرها لن يبقى في الدنيا قيد، يتحرر كل عبيد الدنيا.. ويسود العدل

ابن خالويه

العدل يميل مع الركبان، فلتنتظري القمة، ما دون القمة قاع

الكورال

(**بصدى**) قاع.. قاع.

أميرة

(**تجثو على ركبتيها وتمسك رأسها بيديها**) آه.. يا قلبي المسكين لعلك لم تفطم بعد، هل أنكثُ وعدك يا فارس حبي، أنكثهُ حين تقاتلُ أنت هناك، أنكثهُ حين رأيتك تقتحمُ الحاجزَ وتجاهرُ بالعشقْ، هل أصبح حرة؟ آهٍ يا قلبي

المسكين.. آهٍ يا فارسيَ المجنون، لم لا يقتحمُ العشقُ شراييني، يأسرني، أصبح مأسورةَ عشق الوطنِ الأسمى، وأنا الفاتنة الغيداءْ، يتشهَّاني كل الفرسان، آهٍ، آهٍ، آهْ **(بحسرة تصل إلى البكاء، تستفيق على صوت فرغويه لا تعرف مصدر الصوت، تبحث عنه وهو واقف في زاوية معينة).**

فرغويه

(فرغويه وهو يفرك يديه طمعاً فيها)

ستكونين لقلبي لا أحداً يجرؤ نزعك مني

لا سيف الدولة **(ثم بحسرة ساخرة)** هو مكَّنني - المسكين - بلمس ضفائرك الناعمة

ولا هذا المغرور الحمداني ولا غيرهما، لي وحدي

للعبد التركي بالأمسْ

وكبير القادة هذا اليوم.. **(ويسرح هنيهةً)**

ولحاكم هذا القطر غداً...

آه راقتني هذي الفكرةْ: **(وهو يعد بإصبعه الكلمات اللاحقة في الهواء)**

ولحاكم..هذا.. القطر.. غداً **(يضحك بشدة بينما يكرر الكورال كلماته الثلاث الأخيرة وهو يدور على أميرة وهي جاثية على ركبتيها مبهوتة..حتى يظلم المسرح)**

تتلاشى الإضاءة

المشهد الثاني

(في بيت أبي الطيب، يظهر المتنبي مع خادمه، وأبو الطيب يفكر في أمر ما يشغله يذرع المسرح طولاً ذهاباً وإياباً)

زيد

أولَستَ تنام قريراً، دع غيرك يسهر أو يتخاصمُ
لشواغل كلماتكْ

المتنبي

ليس لذلك يا زيدُ، لأمرٍ آخرْ

زيد

آه.. نحن إذن في منعطف آخر

المتنبي

بالضبط (**ثم فترة صمت بعدها**)
خبرني يا زيد، ألا يمكن للشاعر أن يصبح ملكاً..؟!

زيد

الشاعر للوجه الآخر
قد يصنع مَلِكاً لكن ليس هو

المتنبي

أولا يملك أدوات الحكم وأولها الإحساس

زيد

أجل يملكها، لكن في أشعارهْ

المتنبي

أولَيس بأرحم من قلبٍ
لا توخزه لسعات الشعرْ

زيد

أرحمْ

المتنبي

أوَليس الشاعر تلك النبتة في أعماق
جميع الناسْ؟! أولا يهتزون إذا اهتزت؟!

زيد

لكن السطوة للسيف

المتنبي

السطوة في آخرها للكلمهْ، حين يكون السيف
لدى القلبْ
آخر ما يخشاه الشعبْ

زيد

هل تترقب مُلكاً

حين تكون وحدكَ: كل الأمة في رجلٍ، أنت شعار العافية الأسمى

أنت الروح، كل الأشياءِ الأخرى تبدو باهتة، لا تفقهُ معنى التغريدْ

المتنبي

(**بغضب وتأفف**) الرمز، الروح، مللت تضاريس المعجم إن لم تنحُ للتشييدْ

أترجى - يا زيد - الملك؟

زيد

لنفسك..؟!

المتنبي

ليس لنفسي بل للأمةِ

في أصقاع شعوري، بين ثناياكْ

(يقرع الباب، يذهب زيد لفتحه فإذا الداخل أخت أبي فراس وقد غطت وجهها بالحجاب للتستر، أما زيد فيختفي من المسرح)

المتنبي

مولاتي في هذي الدار الضيقة المأفونه..!!

وجدان

بل هي عندي أوسع من قصري
حين يكون أبو الطيب فيها

المتنبي

هذا إطراءٌ لا أعرف كيف أسميهْ
لكن مجيئك مولاتي، خرقٌ لسمو الملكيهْ

وجدان

أكره ما في الدنيا، أن نحيا نحن البشر
كأسرى بين الحيطان
نتعلل بالرسميات، ونتظاهر أنَّا فوق الكلمات..
صدقني ما غامرت لكي ألقاكَ
سوى أني أقضي الليلة في مرعى شعرك أتعارك وحدي مع رمز معانيهْ

المتنبي

أوه..هذي قمة إطراءٍ ما خلت بأني بالغها يوماً..!!

وجدان

لستُ أعلِّمك بأن الكلمات هي الدفء
تنقصنا كلماتك حين نحسُّ البردْ
أولم تنذر نفسك حين تطوف البلدان العربيةَ
أن تبذر في أصقاع الأرض الكلماتْ

المتنبي

أحس بأني مبتور ليس لكلماتي
أجنحةً، ما دام الشعب العربيُّ يراني صعلوكاً
أتمسح بالأعطاف الملكيهْ
أسألها أجراً وعطيهْ

وجدان

لكنك ملكٌ في نفسك

المتنبي

(**ببعض الغضب اليائس**) كلماتي الشعبُ، أليس كذلك؟!!
(**فترة صمت قصيرة**) سنظل ندور على نفس الدولابْ
مولاتي تعلم أني لا أطمح للملكْ من أجل المجد أو الجاهْ
لكن للحريه..الحريه

وجدان

أتظن بأنك تمنح أجنحة لتطيرْ

المتنبي

سيف الدولةْ أقرب حكَّام العربيه
لضمير الحريه
هل يتقاصر عن شارد معانايَ
ويجحفُ تعظيمي؟
هل يفعل؟

وجدان

دع يا متنبي عنك الكلمات
إذا كانت تتقيأ أمتعة الدنيا..

المتنبي

(باستغراب) ماذا تطلب مولاتي مني؟

وجدان

إني أدعوك لمرعاي الخصب..
تسلل بين دهاليز القصرْ في ليلٍ يفتقد القمر
فتأوي مضطجعي..ثم..

المتنبي

(وهو لا يكاد يصدق نفسه) مولاتي..!!

وجدان

كي تصبح فيما بعد أميراً فوق الساسة والأمراءْ
(بغنج) أولست ترى أني أوصلك إلى القمة في طرفة عين..

المتنبي

(يعرض عنها فيواجهها بظهره)
آهٍ، يا ويلي.. آه..
(وكأنه يحدث نفسه بصوت تسمعه)
يا لوعورة هذا الدرب، أحرقني قولك يا وجدان
يا سيِّدة القلبِ، ويا عرش الكلماتْ، كم لي كي أرسم ما أهوى؟!

(يطرق الباب، تريد الأميرة الخروج من باب آخر، تعيد إلى وجهها الحجاب)

وجدان

(وهي خارجة) فكر في القمة يا متنبي..
من يصعد للقمة يصعب أن ينزلق إلى القاع

المتنبي

لكني لست أنا من يطمح للقمة في طرفة عين
أسأتِ الفهم فعودي لدواويني..
كي نتلاقى فيها عن حق!

(يذهب زيد لفتحه فيدخل الأمير سيف الدولة وقد أماط اللثام عن وجهه، ينحني زيد إجلالاً)

زيد

مولانا سيف الدولة.. يا للشرف الأعظم

المتنبي

(يمسك رأسه بيديه كأنه أصيب بدوار)
مولاي قدامَ عينيَّ،
شأنٌ يحق بأن يحتفي الشعر بهْ
ليدخلني في سماء التواريخِ.. شرَّفتني سيدي

سيف الدولة

بل لا أريد بأن يعرف الناس أني ضعفت

وأني أتيت.. فلا تطلق الشعرَ جنّاً يحومون كل البقاع
فيعلمُ كل الخلائق أني قدمتُ، لربٍّ يساءُ به الفهم
يا شاعري!!

المتنبي

تيقن بأني سأكتمْ
رغم هديرِ الشعورِ وقد فاجأته الزيارة يا سيدي

سيف الدولة

أحس بأنك - رغم العلاقة ما بيننا -
ورغم الهدايا.. ورغم العطايا
أحس بأنك توغر بعض الخلائق مني!!

المتنبي

أنا يا أمير حلب..!

سيف الدولة

وأبلغتُ أنك تنشر شعراً
لتستنهض الناس من غفوةٍ ساكنهْ

المتنبي

افتراء ومحض ادعاء
إنما دعوة الانطلاق إلى شرف الكلمات
ولن أجترئ فتنة الناس منتقصاً من مقام الكريم
أنت سميُّ المقامِ، وأنت لديَّ شعاع الأملْ

سيف الدولة

وما عدت حقاً أطيق التحدث في طلبات الإمارهْ
مللتُ..!!
أتحتاج أن تستزيد العطايا
أزيدك منها، على أن تكثر المدح حتى أخلَّدْ

المتنبي

(وقد بدأت تظهر عليه علامات خيبة الأمل)
ظننتَ بأن العطايا لنفسيَ غاية عاريهْ
وأنيَ لا أنشد الشعر إلا لأجل الهدايا، ظلمتَ وربي.
وأوغرَ صدرك حسَّادَ فضلكْ

سيف الدولة

هل تستحقُ الإمارةُ منك كبير العناء؟

المتنبي

ولو لم أكن قد شعرت بثقل الإمارةِ
ما راودتني الطموحات فيها، ولا علقتني بآمالها..
كنت أطمح أني أريدُ الشعوبَ تعيشُ وتفهم
معنى الحياهْ

سيف الدولة

هل الشعرُ يمكن أن يرسم الحلم..

المتنبي

يرسم المستحيل، أنا جئت للمستحيلْ

سأصنع بالشعر خفقة عزمٍ لتخلق حريةً كيمامهْ
أنا شاعر يملك الكون، كيف لا يصنع المستحيلْ

سيف الدولة

وإن قام في وجهك الناس، أنَّى لك الصفح منهمْ؟

المتنبي

الناس تبحث عن ضالةِ الحق،
أنَّى يقومون ذاك خيارٌ أرادوه همْ
إذا كنت وحدي صنعت لهم طرقات الحقيقهْ

سيف الدولة

وأنت..

المتنبي

سأرضى لأني رأيت المصير يحددهُ أهلهُ

سيف الدولة

حالمٌ.. أبداً حالمٌ.. هكذا يحلم الشعراءْ

المتنبي

بل هكذا يحلم الأنبياء

سيف الدولة

لا تدخل الدين في حلبات السياسةْ
أراك تناسيت، أنك يوماً...(**وكأنه يريد تذكيره بادعائه النبوة في الماضي**)

المتنبي

تناسيت!! لا، غير أنيَ أشعرُ
أكثر من أي وقت مضى أننا أحوج الناس للدين
كي نبصر الشمس من أي شرقٍ تجيءْ

سيف الدولة

(يضحك بملء فيه)
أهذا سؤال..؟!
ألِشمس شرقٌ سوى شرقنا..
تفلسف لي، يا نصير القلوب، تحسبُ نفسك رمز الحقيقةْ

المتنبي

أعلمُ أنيَ أسكن قلبك يا سيف الدولةْ
لكن يا للعظمةْ.. حين ترى الأشياءَ من القمَّه!!
أسائل نفسي، أغرق في وهمي أو قل شكِّي..
ماذا ملكت زعنفة حين علت فوق الناسْ
علماً، فقهاً، جاهاً معرفةً ماذا يا أعرفَ كل الناسْ

سيف الدولة

الشاعرُ.. يبقى للقلمِ وللقرطاسْ
يمدح، أو يهجو، أو يرثي..

المتنبي

أنا ما فتئت أسائل نفسي..!

لماذا تصيِّرُ أهل النميمةِ حجَّاب عرشك
لماذا يروقك طعم النمائم؟
والصادقون لهم ألف سور منيع
لماذا ترجلت عن خيل مجدك بعد انتصاراتك الباهرهْ
ولذت بقصرك تسمع أغنيات بطولاتك الغابرهْ
لماذا فقأت عيون العذارى
وأهديت للطامعين النيوبْ
لماذا..لماذا..؟

سيف الدولة (مقاطعاً بحنق)

صهٍ، ليس هذا بشأنك
نسيت بأني أمير حلب..
وفارس كل العروبة
سالت بفضل انتصاراتي الماجدهْ
قريحتك الغادره..فأصبحت بي قاهر الشعراء
وأصبحت تلبس أزهى الثياب
وما كان فيك سوى الخرقة الباليهْ!!
أألآن جئت تراهن في كل شيء..كل شيء!!

(يخرج سيف الدولة غضبانَ، بينما يخرج زيد وهو يبصر المتنبي واجماً يتفكر، أغنية للكورال)

يا من ترفَّع في عشقه ولذَّ له أن يذيق الوصب

عرفتك شهماً تقود الرجال وتسمي الأماني وتعلي العرب
فديتك إن أوغر الحاسدون فؤادك حقداً يثير الغضب

تتلاشى الإضاءة

الفصل الثاني

المشهد الأول

(في منزل سيف الدولة، أم أبي فراس، وزوجة سيف الدولة، أم أبي فراس وهي عجوز أحنى الدهر ظهرها تتوكأ على عكاز، وتظهر في زاوية من المسرح وهي غاضبة مولية الظهر، حوار ساخن من جانب الأم وبارد من جانب البنت)

زوجة سيف الدولة

أماه وساوسك العطشى لا حد لها..

ابنك فارس أرض الحمدانيين، ونفحة مستقبلهمْ

والشرف المتجسد في ريعان العمر و..

أم أبي فراس

(تقاطعها)

لكن القمر الآن مكبل في الأغلال..

ماذا يجديني مدحك

تلتمسين العذر لزوجك، وكأن الأمر كأتفه ما يمكن أن ينزل تفكير السلطان إليه..

زوجة سيف الدولة

أماه، رجوتك أن تتعرف أبصارك بخباياي

أنا لا ألتمس العذر، ولكني أتحدث عن أمر صعبْ

أم أبي فراس

أمر صعب!!

أصبح أمر فداء أخيكِ الفارس، أمراً صعباً!!

أصبح أمر فداء المستقبل من أغلال الرومْ، أمراً صعباً!!

زوجة سيف الدولة

أماه انتظري، انتظري، يأتيك الفرج بلا ريب

دعي عنك وساوسك الثكلى يا أماه..

أم أبي فراس

انتظري!! حتى يأتي الموت!!

(وكأنها تناجي ابنها)

آه، يا بني، علمتك معنى الإخلاص حتى ألقاك بحضن الرومان

ولهي يا ولدي، من يعلم أنك حين ستأتي كيف تكون الأحوال

أنا أعلم أنك تأتي

حتماً تأتي، لكن الشفق الأحمر بعد قليلٍ يمحق أمك..

زوجة أبي فراس

أماه، أقسم ألا يحرقك الوجد على ابنك

سأفاتح سيف الدولة في شأنه، فدعي لي الأمرْ

أم أبي فراس

أنت الآن أسير أمانيك البيضاءْ
أسمع تلك الزفرات المبثوثة من قلبك بالحرقاتْ
قد نتلاقى يا ابني يوماً ما..
حين أكون تراباً وتكون البذرة أنتْ..
قد نتلاقى يا بنى.. قد نتلاقى **(تكررها حتى تخرج)**

(تخرج أم أبي فراس من البيت وهي تتكئ على عصاها دون أن تنبس ببنت شفة، يدخل سيف الدولة)

سيف الدولة

هل غادرتِ القصر؟

زوجته

من؟

سيف الدولة

أمك طبعاً!!

زوجته

هذا يعني أنك كنت تحاشيت لقاها!

سيف الدولة

ذبحتني أمك بالطلب المكرور..

زوجته

لكنك يا مولانا تعرف عاطفة الأم..

سيف الدولة

ماذا يدفعنا لفداء أبي فراس
لا تثريب عليه!! يقبع في الأسر هناكْ مكرَّم!
يحسن ضيفته الرومانْ، أتخيل أن الأمر مريحٌ كي يهدأ، أو يلتئم الجرح
فيرجع بطلاً أسطورياً.

زوجته

يا مولانا، هذا لا يصلح منك، كأني أفهم شيئاً آخر، أشتم روائح أخرى!!

سيف الدولة

أنا سيف الدولة، خلي عنك الأمر، أعالجه كيف أشاء أنا، من منظوري..

زوجته

لكن..

سيف الدولة

دعي (**لكن**) هذه.. وخذيني كي أتأنس بالليل الحالك دون رقيب، لا قمر ولا شكوى، هيا

تتلاشى الإضاءة

المشهد الثاني

(في مجلس الأمير سيف الدولة الحمداني، والحاشية نائمة على كراسيها أو كل مسند رأسه فوق الآخر، يسمع شخير بعضهم، ينتحي القائد التركي فرغويه بأبي المعالي جانباً يتحدثان بكلام لا تسمعه الحاشية..)

فرغويه

اسمع، وعلِّق ما أقول كحلقتينْ **(يشير إلى أذنه ماسكاً بيده)**
هذي الإمارةُ لن تجيئك مثل أنسام الربيعِ
وأنت كقصعةٍ تغري اللعاب..
لعاب طلَّاب الإماره.

أبو المعالي

أولست تدرك، يا صديقي فرغويه
بضعفيَ المكشوف في شأن السياسه

فرغويه (بتحايل)

يا سيدي،
الضعف قد يخفى ببعضٍ من كياسه

أبو المعالي

أنا ما وُجِدتُ لهكذا شأنٌ حقير،

أنا قد خلقت لمجلس الزق، وأفخاذ الحسان
أنا للندامة والقيان
(**في شرود**) آه.. كم يجرحنني بسيوفهن المصقلات
فأذوب كالثلج وأمسي كالفتات!!
وأحس أن العمر في كنف سواهن.. شتات!

فرغويه

حسناً، فكن رمز الإمارةِ
وألقها - محقورةً كالعفن - في أكتاف خادمك المطيع
ولك الحسان الساحرات، لك القيان
متقلباً ما بين أذرعهنْ
متأملاً أفخاذهن،
رشاقة الأيدي، وتحليق الحمام
أما أنا فالخاتم السلس الزمام
يدور دوراناً رفيقاً في رحابة إصبعك
جُلَّ المقام

أبو المعالي

أتريدها لك يا خبيث؟!

فرغويه

أستغفر اثر العظيم..
عن الهنات

بل نعل مولاي الحقير
وبصقةٌ مأفونةٌ، متبوعةٌ باللعنات

أبوالمعالي

هيا إذن يا خادمي المزعوم **(بتشكك)**
نقل عرشها قبل ارتداد الطرف
كاشفةً أمامي ساقها المصقول كالمرآةِ
كالرغبات تفضحها الغريزه

فرغويه

هو في الطريق مهفهفاً
لجناب مولاي الكريم **(يركع له بتملق)**
(هامساً لنفسه) ما أكرمك..
ستكون لي..في قبضتي **(وهو يقبض كفه يتطاير من عينيه الحقد)**

(في هذه الأثناء يصرخ الحاجب مؤذناً بدخول الأمير سيف الدولة الحمداني)

الحاجب

سيف الدولةِ
مولانا..

(تقوم الحاشية مذعورة ويعود أبو المعالي وفرغويه مكانهما جنبي الأمير، يدخل سيف الدولة، ينحنون له انحناءة خفيفة، فيجلس مشيراً إليهم بالجلوس فيجلسون،ثم يعودون إلى النوم كحالتهم السابقة،

ما عدا أبا المعالي وابن خالويه، والوزير المهلبي، والقائد التركي فرغويه)

سيف الدولة

(**لفرغويه**) حدثني يا قائد جيشي، عن أحوال مدينتا

أم الأمجاد الحمدانية؟ كيف وجدت الشعب السامي هل يشكر أو يحمد في ذكرى الأعياد الوطنية؟ هل يغبط عيشته بوجودي الآن هنا؟

فرغويه

(**بتملق ظاهر**) مولانا سيف الدولة

لو كان معي أمهر فناني الدنيا ما اسطاع يعبر شيئاً من رسمٍ أو كلماتٍ

من عظم المشهد..

سيف الدولة

(**وقد خالطه ريب**) ماذا تعني؟

فرغويه

لا أعني غير الخيرْ، فالشعبُ سلامٌ

يقتاتُ بحمدك يا مولانا كل صباحٍ أو كلَّ مساءْ

الحكواتي ما زال يردد سيرة أمجادك

وخيالُ الظل ولعبُ الأراجوز تمثل في الأسواق بطولاتكْ

أوصاني الكل بأن أنقل أحلى القبلات لسيف الدولة قاهر جيش الروم

ولهذا أنقل في الصندوق الذهبي قبلات الشعب إليك

سيف الدولة

نفتحه قبل النوم لكي نحلم أحلاماً ورديه..
قل لي.. ما زال الناس جماعات تقبل، فتصفق بالإيقاع على رقصات أغانينا الوطنية، هل الإيقاع هو الإيقاع؟

فرغويه

أفضل، يا مولانا، أفضل..فلقد صار الناس على أشفار الغضب، على تلك الحلقات..

سيف الدولة

(**غاضباً ومتعجباً**) على أشفار الغضب، لماذا؟ هل يحدث فيها لغط آخر؟

فرغويه

لا يا مولانا هدئ روعك، يحدث ذلك من حرص الناس على الإنصات لسيرتك العظمى لا أكثر.. بل.. بل زادوا في الإيقاع بضرب الطبل الأكبر حجماً (**يضحك**)

المهلبي

(**وكأنه يحادث نفسه**) إنذاراً بالخطر القادم..

سيف الدولة

(**يتبدل سروره إلى بداية غضب**)
(**للمهلبي**) ماذا قلتْ..؟

المهلبي

قلتُ: سعيداً بالمُلْكِ الدائم..

سيف الدولة

(يعود عن غضبه فيؤكد)

طبعاً، طبعاً هذي الترنيمة نعشقها هي أجمل مما عزف الفارابي على الأوتار!!

فرغويه

أجمل يا مولانا، أجملْ، هل أمضي في نقل الصورة مع عجزي، يا مولانا، يا أعدل حكام الأرض؟

سيف الدولة

يكفي هذا، يسعدني أن أسمع عن سكان حلب، شعبي الطيب كل الخير (**يضحك، فيضحك معه الآخرون تملقاً ما عدا الوزير المهلبي وابن خالويه، فينظر سيف الدولة إليهما فيضحكان مجاملة، فترة صمت**) هاه.. يبدو أن أبا الطيب لم يمثل بعد

فرغويه

ولماذا يكترث أمير الأمراء

مولانا سيف الدولة بالشعراء؟!

ابن خالويه

الشعر هو التاريخ الراقي..

وأبو الطيب ليس من الطلاب على الطرقات

فرغويه

بل هو ممن ينتسبون إلى الغوغاء

يتسمون باسم الشعراء
لا أبغض في العالم غير الشعراء!

ابن خالويه

يبدو لي يا مولانا
أن القائد فرغويه
لا يكتم غيظاً للشعراء

فرغويه

هم ليسوا - يا مولانا- إلا حفنه
من زيف محقور، ورياء

ابن خالويه

لكن العالم دون الشاعر
كتلة لحمٍ
لا خفقَ، ولا إيناسِ، ولا نبضاتْ

فرغويه

بل بقعة طهرٍ
لا زيفَ، ولا أوهامَ، ولا خطراتْ

ابن خالويه

هل يمكن أن يحيا الناس بدون الخطرات؟!!

سيف الدولة

لكنك أدرى بالناس، معلمنا..ومؤرخ دولتنا

ابن خالويه

عفوك مولانا،

لم تتشرف أذناي القاصرتانْ عن فهم القصد

سيف الدولة

الناس إذا أغرتها الكلمات،

ورجت بركتها الراكدة...تثور

ابن خالويه

(**باندهاش**) تثور!!

سيف الدولة

تثور على الملك، على الدولةِ، والشرفاء!

فرغويه

(**بتملق سافر**) نقصتنا حكمة مولانا..

فلتبذرها في أصقاع الأرض لتنبت

ولترشقها دون هواده

في أذهان الغوغاء لتسكت (**وهو ينظر إلى ابن خالويه**)

(**وهنا يدخل الحاجب طالباً الإذن لأبي الطيب المتنبي بالدخول**)

الحاجب

أستأذنكم مولانا..

شاعر قصركم أبو الطيب يطلب شرف مثول الخادم

بين يديْ مولاهْ..

سيف الدولة

فليدخل

الحاجب

فليدخل مأذوناً له

(يدخل أبو الطيب المتنبي)

المتنبي

حين تكون الكلمات
رسول القلب إلى القلبِ
وزوَّادته نحو فضاء الحبِ
فإني أجهر قدامك
أني أملك في حجري أغلى النطفات

فرغويه

ماذا تصنع بالكلمات..
تبني مجداً؟ تصلح نسباً؟
تخلق من أشعارك: سيفاً، شرفاً، ملكاً؟!!

المتنبي

الشاعر ملكوت خالد

فرغويه

الشاعر ليس سوى شيطان فاسد
يتخفى في أعطاف الإنسان

المتنبي

حين تكون مذمة شعري من عبد ناقص...

أسترضيها لجلال مقامك (**مشيراً لسيف الدولة لكن سيف الدولة يبدو أنه غضب لمقولته!**)

أبو المعالي

هل ستسود إمارتك المزعومة بالشعر

بالكلمات المبتورة، والناس تحلِّق حولك كفراشات

من أجل رغيف الخبز، هل تصنع بالكلمات الخبز؟

المتنبي

مولاي الحاكم، هل تسكت؟! (**لا يعلق عليه سيف الدولة**)

أبو المعالي

ما أنت وغيرك من شعراءَ سوى زعنفةٌ

آه خطرت لي فكرة: (**بسخرية وازدراء**)

ما رأيك أن تصبح رأس الزعنفة الواهمة تدير الحكم

وستبني -صدقني - دولتك العظمى في كل بقاع الحلم!!

(**يضحك الجميع ماعدا المتنبي وهو يكظم غيظه وابن خالويه، ولا يخفي سيف الدولة رغبته في الضحك لكنه يداري فمه بباطن كفه**)

المتنبي

مولاي الشاعر، هل تضحك؟!!

(**وكأنما نسي شيئاً مهماً**) الآن.. تذكرت بأني حين أتيت إليك

أدهشني في أروقة القصر السامق منظر:
ألفيت أمينك خازن بيت المال
يدفع لقيان القصر
مقابل عمل ليلي، بعض الأجر
واستمرأ إحساس اللذة - حين رآني - بالتحقير
وذم الشعر
فأثرت فؤادي بمراثيك

سيف الدولة

الشهوة ظل الشهرة يا متنبي

المتنبي

من للمجد المتسامق في أجواز الدنيا
إن كنا ننظر نحو القاع

سيف الدولة

هيا يا متنبي
ارحل كالغيمة حين يجفُّ الضرع بها تتقاذفها الريح
إلى العدم الأول، ارحل..

المتنبي

لن أرحل، حتى أبصر كلماتي غابات الأرض

فرغويه

مغرور يا متنبي، اقض عليه مولانا بالسيف، السيف هو

السلطان الأكبر

وستنام قرير العين، افعلها يا مولانا، هيا لا تتردد

المتنبي

آه يا ذئب البشرية، تنشب أظفارك في وجهي، وتناسيت بأنك كنت رعاع الأرض..

سيف الدولة

ارحل يا متنبي، رغوة زبدي تغلي الآن،

حاذر أن تصل إلى وجهي هيا أطفئها برحيلك

الكورال

(بصدى) ارحل، ارحل، ارحل

سيف الدولة

ارحل

فلقد أوجدت خلودي من شفتيك

وكتبت التاريخ بماء يديك

فلترحل

المتنبي

(وقد أطرق رأسه)

ها أنذا أرحل كالدرويش الأخرس

لكني سأذّكر مولاي بكلماتي حين ينام

يوماً ما سأعود، أعود لأجل ضميري

الكورال

من أجل الناس، لكن في الخلسة، وقت الغلس الأحلك
حين ينام العسس، وتسهر أعين فقراء مدينتنا، نترقب عودة روحك يا متنبي
حاذر دوماً من فخِّ الشيطان.. الشيطانُ غوايهْ

(يخرج المتنبي، ويحاول ابن خالويه تدارك الموقف)

ابن خالويه

مولانا، فلتتمهل

سيف الدولة (بزجر)

أنت مؤرخ هذي الدولةِ
قف حيث حدودك، حيث الأمر
سجِّل في دفترنا
أنا نحكم هذا القطر
من عام كذا.. بالحكمة والصبر

(يتناول ابن خالويه سجلاً ليكتب فيه)

سيف الدولة (مستطرداً)

واكتب أن الحكمة كانت تقضي
أن نرفع عن أكتاف الشعب
كل التبعات النفسيه
أن نطرد كل الأفكار الأمسيَّه
ونكون إرثاً لا يرتهن إلى الماضي أبداً، أبداً

(في هذه الأثناء يستيقظ أحد أفراد حاشية الأمير من نومه، ويسقط من كرسيه، خائفاً وجلاً)

سيف الدولة: (واقفاً)

أفزعت مقامي ما بك يا معتوه..

الوزير

الرأفة مولاي، الرأفة

ما كنت لأتجرأ أن أستيقظ دون الإذن بحضرة مولانا سيف الدولهْ

فرغويه

هل تعلم عاقبة الاستيقاظ المفجع في حضرة مولانا

في دستور الدولة، ونظام الشرع

سيف الدولة

هل تخبره مؤرخ دولتنا **(مشيراً لابن خالويه لكنه كأنما لم يسمع الأمير)**

حسناً هو حتماً يعرف ذلك،

الجلد المبرح.. ثم الخلع..

الوزير

أسترضي الخلع..أسترضي الخلع

فرغويه

الخلع من الدنيا، ليس من المنصب

(وهنا يعلو صوت شخير الحاشية النائمة)

الوزير

مولاي العفو، لم أقصد أن أستيقظ لكن الحلم الملعون
...الحلمْ.. أو.. أو سمه إن شئت الوهم
رأيت طيوراً أعرفها تهبط أحياناً عند البيت
تسألني قمحاً أو براً، أطردها، أتسلى بالريش المتناثر
(وهو يرتجف) لكن في الكابوس الموحش - يا مولانا - صارت ذات مخالب جارحة
تندلق النار قذائف منها تتطاير
تحرقني..تصهرني مولاي، فأذوي كشهابٍ حاسرْ

سيف الدولة

يبدو أنك قد أتخمت
ماذا كان يخيفك حين حلمت:
سلَّمناك حصاناً يقفز كل حواجز بيت المال
وتشرفت بألقاب لا تمنح إلا للشرفاء، فعددناك شريفاً وأميناً
مع أنا نعلم أنك ذئب تحت رداء الشرفاءْ، تنزل أحياناً في الشارع دون ردائك
نمنحك رداءً آخر أجمل منه وأنضر..
أما أن تستيقظ مرعوباً في حضرتنا، فإهانةْ لا يقبلها أبداً..أبداً شرف القانون!!

أبو المعالي

لا نعدم هذي الحكمة يا أبتي، أقصد يا مولاي

من يستيقظ يسفح دمه (**ويمثل بيده كأنها سكين يقطع بها في الهواء**)

حفظاً للشرف الأسنى، صوناً لكرامة موطننا الأسمى

سيف الدولة

يا قائد جيشي....يا تركي..

فرغويه (مقاطعاً)

أعرف كيف أتم المشهد يا مولاي

(يضحك سيف الدولة، فتستيقظ حاشيته لتضحك ثم لتعود إلى النوم)

الوزير

مولاي العفو

أحلف أني أدمن منذ اليوم

في حضرتكم كل صنوف حبوب النوم

فرغويه

يا حظك من تعسٍ مسكين،

ادمنها حين تداعبك السكين!!

(يحاول فرغويه الإمساك به وهو يهلوث ويقوم بحركات جنونية)

الوزير

النوم، مولاي النوم، الكابوس، مولاي، النار ستسقط

فوق قصورك يا مولانا، احذر ذاك الطائر، هذا الطائر..آه عيني فقئت، عينك فقئت يا مولاي.. **(يركض في المسرح، يتبعه فرغويه وبعض الحرس حتى يقبضوا عليه فيجروه للخارج، ثم يدخل أحد الحرس وهو يقود رجلاً متهماً بالسرقة)**

الحارس

مولانا هذا لص البيض..

سيف الدولة

تباً لك يا لص البيض،
أثرت الرعب بدولتنا، يا مجرم، يا سفاح
تسرق بيضاً.. أين.. في حلبٍ
آخرها الدنيا يا ناس

الرجل

مولاي سرقت بأمر من ربي!!

سيف الدولة

ربك..!!

الرجل

وتخليت عن العفة والعزة حين أراد

سيف الدولة

أردت أنا..

أبو المعالي

يقول أراد الرب

سيف الدولة

أردت أنا..ماذا يهذي هذا المشؤوم
هيا قودوه، ورصوا لائحة التهم العظمى
وألقوه طعاماً لهوام الأرض..

الرجل

ترجل عن خيلك، الحقني..هيا من يسبق نحو الأقفاص..هيا

سيف الدولة

هيا.. اغرب عن وجهي.. قودوه (ينتفض)

أبو المعالي

أبتي.. مولاي.. ما بالك.. قل..

سيف الدولة (وكأنه أحس بتعب وصداع)

آه.. تعبت، أريد النوم
أريد النوم، آه، كم من دهر عشت، وكم من معركة خضت
وكم من أزمنة غابرة عشت بها يقظان البال

ابن خالويه

(**وهو يكتب**) غفلان البال

سيف الدولة

وأنا الآن المتعب وحدي دون الحكام..
أيحق لي النوم..؟

الجميع

يحق لك النوم..

ابن خالويه

(**وهو يكتب**) يحق لك النوم؟

سيف الدولة

أرهقني طول الحرب مع الرومانْ
وإدارة شأن الدولة، وأمور السلطانْ
سأنام لبضع سنين، من يوقظني يلقى مني أقسى اللوم
وسيخلفني ابني بمعونة قائدنا التركي، وفيُّ الذمة، خادم دولتنا العظمى

المهلبي

(**يهمس في أذن وزير آخر**)
لكن خؤولة ابن الحاكم لن تجعله خصم الرومان

سيف الدولة

(**لابن خالويه**) اكتب في دفترنا الملكي التاريخي
أني سأنام وقد أرسيت القيم، ووطدت الأمن
وجعلت لحلب الحراس الأمناء

ابن خالويه

(**يسجل في دفتره**) إنك نمت وقد أرسيت الضيم، وصفيت السمن

وجعلت لحلب الحراس ا ل أ م ن ا ء..

سيف الدولة

انصرفوا الآن دعوني
تحملني أشواقي العربية
نحو النصر على الرومانْ
نفضتني الحربُ،
وأتعبني هز الأرداف مع الغلمان
فدعوني الآن أنام.. انصرفوا الآن

الكورال

انصرفوا الآن، دعوه ينام، دعوه ينام ليبني في النوم الأحلام!!

(يخرج الجميع، فيتمدد في سرير على زاوية قصية بالمسرح)

تتلاشى الإضاءة

المشهد الثالث

مشهد أبي فراس وهو في السجن خائب الآمال، محروق الفؤاد، وخارج القضبان ابن خالويه. يأخذ هذا المشهد نصف المسرح ليكون النصف الآخر لمجلس السمر الذي تلي تفاصيله.

أبو فراس

(يبكي إذ يبدو أن ابن خالويه قد أبلغه بموت أمه)

أمي كنت ربيع الكون.. من لي غيرك أغنيةً

ها أنذا أتساقط كالورق اليابسْ

وحدي خلف القضبان وخلف التاريخ..

ابن خالويه

كانت أمك رمزاً..رمزاً للحب الوطني الأسمى

لكن سيف الدولة لم يترحم.. لم يسمعها إذ تتحرق

صدقني ما كنت رغم الخبرة أعرف عن صدق نواياهْ!

أبو فراس

لتمت أمي.. فأنا محتاج كي يحترق فؤادي كمداً فأموتُ

هما أمرانِ.. وعدي لأميرة، أو لقياي لسيف الدولة..

الأحلى مرُّ.. مرٌّ كالعلقم بل أكثر..

(**تفتح الإضاءة على النصف الآخر من المسرح بينما تظل خفيفة في سجن أبي فراس**)، المشهد: مجلس سمر، يتوسطه أبو المعالي (**ابن سيف الدولة**) وهو ثمل جالس على الكرسي، ومعه بعض الجلاس والغواني، وفرقة غنائية، ضحك، هرج ومرج (**السرير الذي ينام عليه سيف الدولة على جنب**)..

أحد الجلاس

(**وهو يرفع كأسه**) من أجل خليفة سيف الدولة

نشرب نخب إمارتهِ

من أجل المستقبل، من أجل حلب، هيا يا أصحاب الكأس

لصحة مولانا (الجميع يرفعون كؤوسهم ثم يشربونها)

أبو المعالي

(لإحدى الغواني) أنت يا سمسمتي الحلوه.. راقصة العصر الحمداني، هيا هيا، أريني رقصك يا فتنة كل غواني الدنيا، هيا هاك الكأس..صبي حمياه في جوفك هيا طبل يا مسعود (يضرب الطبل فترقص الغانية، وينهض هو ليرقص معها بترنح يشير إلى أخرى من الغواني)

أبوالمعالي

أنت يا لبلبة القلب، حلوٌ عودك أنت.. فهيا يا غصن الزيتون ميِّل، ميل (**يميل هو بحركات ثملة، فتنهض**

لترقص) طبل يا مسعود، هيا **(يصفق الجميع مع رقصها، ثم يعود المجلس إلى الهرج والمرج، حتى يدخل ابن خالويه الذي يقف جامداً بنظراته العاتبة الغضبى)**

أبو المعالي

(لابن خالويه، وهو ينهض بترنح ليسوقه إلى الحلقة) تعال هنا، نشرب يا شيخ، نفس عن روحك هيا، دعنا من أمر الحكم، أكره ما في الدنيا العرش، وأعشق هذا المجلس، هيا يا شيخ **(يدفعه ابن خالويه ويخرج، ينظر أبو المعالي إلى حاشيته بتعجب وببلاهة)**

أحد الجلاس

دعه يا مولانا، وانبذه من إيوانك

آخر

عجز الشيخ وخرف، اركنه يا مولانا في أحد متاحف دولتنا تمثالاً

أجوف، كي يصبح من أوشاب الماضي **(يدخل فرغويه)**

أبوالمعالي

ها هو ذئب الدولة جاء، هيا يا ذئب ارقص رقصتك المشهورة..

فرغويه

(يضحك بسخرية) لن أتقدم مولانا، أنت الأقدم في الرقص، ألم ترقص في حلبات الروم..

أبوالمعالي

ذاك أبي سيف الدولة يا معتوه **(يضحك)**، أنا أرقص في حلقات الخمر، تعال لنرقص مع بعضينا هيا، موسيقى يا ناس، هيا **(يربط فرغويه في وسط أبو المعالي رباطاً مزركشاً ليهز وسطه)**

أبوالمعالي

ارفع من صوت الموسيقى يا حاجب

الحاجب

أمرك مولاي

(يرفع من صوت الموسيقى، وهي أغنية زهرة المدائن لفيروز من بداية المقطع (الغضب الساطع آت) يهز أبو المعالي وسطه، ويصفق له فرغويه وجميع الحاشية، يصبح صوت الموسيقى خفيفاً مع الإضاءة لكن المشهد يستمر كما هو مع سماع صوت هامس)

الرجل

يا أغلى عندي من كل الدنيا

المرأة

جسدي أم روحي..

الرجل

جسدك طبعاً، جسدك أغلى كنزٍ في الدنيا

جسدك كتلال الذهب اللامع أصعده حتى أنزلق إلى القاع

المرأة

القاع، ها ها..، مسكينٌ منحدرٌ نحو القاع.. لن تصعد أبداً، ستظل رهين القاع

الرجل

حيث الدفء، وصمت الأزمنة.. القاع

كورال

(**بصدى**) القاع، القاع، قاع، قاع، قاع..

نهاية المشهد

الفصل الثالث

المشهد الأول

(إضاءة خفيفة بالمسرح، الأمير سيف الدولة نائم في سريره، نوماً يشبه الموت غير أن شخيراً يصدر منه بين الفينة والأخرى، يُرى ابن خالويه وهو منعكف على سجله، وقد طالت لحيته أكثر من ذي قبل، ثم بعد هنيهة يدخل أربعة رجال تنم هيئاتهم على أنهم من الفقراء المعوزين، وهم متجهون نحو كرسي الحكم الفارغ يسألون عن أمير حلب)

رجل ١

(**وهو ينادي**) أمير حلب، مولانا سيف الدولة
هُب لتسمع دعوانا

رجل ٢

تسبى الأحلام من الطرقاتْ
أما الوطن الأكبر صار هوانا

ابن خالويه

أُسْ.. خلوا بين النوم وراحة مولانا

أنا موصىً لا بالسلطة، لا بالحكم..
براحة مولانا.. فدعوه ينامْ

رجل ٤

من يسمعنا؟...

رجل٣

البحرُ الهادرْ

رجل١

الريحُ الهوجاءْ

رجل٢

الكمدُ المتخثر في جوف شقانا

ابن خالويه

(**بتأفف وهمس**) أوه.. لِمَ لا تنتظرون مولانا حتى يفرغ من أحلام بناء الدولةِ
بمناهج عصريةْ
حتى في النوم، مولانا تشغله مليون قضيهْ
يرسم في الأحلامْ: أزهى الآمال الوطنية،
أرقى الأفكار العربيه

جميع الرجال

(**بصوت واحد**) الأفكار العربية..!!

رجل٢

الأفكار العربية!! هل تنقصنا الأفكار العربية

رجل٤

نملك أفكاراً عربية، لا ينقصها التهذيب ولا التطريب ولا التشطيب، لكن ينقصها، ينقصها النور.. النور

(يتقلب سيف الدولة في سريره وهو يتمتم بكلمات بينما يخاف الرجال الأربعة)

سيف الدولة

أوه غلبتني هذي الألفاظ:

احتج بمعنى جار

نهض بمعنى ثار

ابن خالويه

أس، لا ترفع صوتك، لا توقظ مولاك.. الأفكار العربية يبعثها مولانا الآن في صيغ أخرى بمعاجم وقواميس أخرى، ليجدد فيها اللغة، أليس العائق دون تقدمنا عجز اللغة عن الإبداع..؟ اسكت يا أبله..

الجميع

لم ندرك شيئاً مما قلت

ابن خالويه

أجل، فدعوا الأمر لأصحاب الأمر، وانتظروا أنتم عند مصاطبكم، كونوا عقلاء.

رجل٢

لا لا، لن نترك مولانا وحده..

رجل٣

تقصد جثته حتى ينفخ فيها الرب الروح..

رجل٤

أتريدوننا نحيا في وهم يا أصحاب، ألا يكفي أنا عشنا بالوهم قروناً وقرونا..

هيا نرجع للحي نبلِّغُ أهل الحي: أن أمير حلب يغرق في أحلام بناء الدولة..

رجل ١

لا يا سلمانْ، لن نرجع للحي

فقدنا يوسف، والآن سنفقد بنيامين، كيف نقابل أهل الحي

رجل٢

سننام إذن تحت التخت الملكي

وسيسعدنا أن نعضد مولانا في نومته

كي نكشف عن أحرف أخرى، نخترع بها لغة أخرى

عاش العقل، وعاش....

رجل ٣

قلت لكم مولانا لا يشغله عنا شاغل

أرأيتم حتى النومْ

(يتوجه الرجال الأربعة إلى السرير الذي يتمدد عليه سيف الدولة فينام كل منهم ممسكاً بعمود من أعمدة السرير، ثم بعد ذلك بقليل تدخل أم أبي فراس وهي تتكئ على عكاز)

أم أبي فراس

(**لابن خالويه**) هيه.. أنت القابع خلف الزمن الضائع

(**لا يجيبها ابن خالويه، ويستمر في كتابته، وتدوينه**)

أم أبي فراس (تستطرد)

هيه..هيا ألق غباراً يلجم أذنيك وأخبرني:

لم خفتت أنوار القصر..؟!!

لم نامت في الشارع أعمدة الضوء..؟!!

وتراخت أقواس النصرْ

وانكفأت في طرقات حلبْ

قامات المارة

وابتعد البحر عن المرفأ؟!!

ابن خالويه

هل تعذرني سيدتي حتى حين؟

أم أبي فراس

ولماذا لا تبتدر الآن!!

ابن خالويه

حتى أفرغ من تدوين الفصل الأول من قصتنا

آه.. سوف تواجهني بعض التعقيدات

منها ما يحتاج إلى التبريرات

أم أبي فراس

تقصد بعض التشويهات

ابن خالويه

شيء من هذا.. لا يخفى عن سيدتي
إن قوانين الدولة هي أسمى ما اخترعته البشرية
لا تعرفه - حسب مصادريَ الموثوقة -
أية أعرافٍ دوليه
غير الأعراف العربيهْ

مثلثها الرائعْ: الصدق، العدل، الحرية **(وهو ينظر لقراءة هذا السطر إلى سجله)**
(الرجال الأربعة يكررون الكلمات الثلاث الأخيرة، وكأنهم يحلمون بها في نومهم)

رجل ١

الصدق

رجل ٢

العدل

رجل٣

الحرية

رجل ٤ (يشخر بصوت عالٍ)

أم أبي فراس (وهي لا تلتفت إليهم، كأنها لم تسمعهم)

لكن لم تخبرني أين أمير حلب؟

ابن خالويه

هناك.. ذاك هو يتمدد في أحضان الحلم

أم أبي وفراس

موتٌ مستورٌ أم نومٌ مسطورْ

ابن خالويه

بل عزف القلب على أحلام الشعب

أم أبي فراس

منذ متى بقي على هيئته في شرف النوم؟

ابن خالويه (وهو ينظر سجله)

منذ سنين.. أو منذ عقود.. أو منذ قرون
لا أذكر بالضبط التاريخ
فهو يفاجئني بالدورات المكرورةْ

أم أبي فراس

هلَّا أيقظت أميرك، كي تبلغه
أن الجرح الفاغر لم يرقأ بعد
اسأله الوعد..

ابن خالويه

هل تفصح لي سيدتي
عن شكل الوعدْ
سيدتي تعلم أن وعود أمير حلب
يخطئها العدْ

أم أبي فراس

فداء الفارس، ابني الملقى مثل البصقة

في جبهات الرومْ

ابن خالويه

تعلم سيدتي أني لا أكتم عنها سرْ
فلقد أوصانا مولانا أن نتحفظ في هذا الأمرْ
من أجل الأمن، ومن أجل الاستقرارْ

أم أبي فراس (وهي تصرخ)

من أجل الأمن ومن أجل الاستقرارْ..؟!!
هل أصبح ابني المخلص مدعاة للخوف؟
هيا ألق وصية مولاك بعرض البحرْ
وأيقظه ليفدي ابني من قهر الأسرْ

(يدخل في هذه الأثناء أبو المعالي وقائده التركي فرغويه مع حرسهم، يتجه أبوالمعالي ليجلس على كرسي الحكم)

فرغويه (وهو حانق)

من سمح لهذي الشمطاءْ
أن تدْنس قدماها ردهات القصرِ
تلوث بعتيق النبراتْ آذان الأمراءْ

أبو المعالي (متردداً)

هذي.. هذي..

أم أبي فراس

أنا جدة هذا المعتوه...

فرغويه

بئس الخلطةْ

أم أبي فراس

كانت غلطةْ

حين تراخت أبواب الدولة

كي تستقبل أشباه دراويشٍ أو مرتزقةْ

فرغويه

جئنا كي نمنحكم معنى الحريةْ

أم أبي فراس

معنى الحريه!!

بل كي تمتصوا دفء الوطنيةْ

فرغويه (يسترسل)

نحن المبعوثون إليكم كي ننقذكم من وهج الأحلام الغاربةِ الحمقاءِ

وكي نغرس فيكم كلمات المجد الورديه

(**متحدثاً لأبي المعالي**) يا رمز السلطةْ

أبو المعالي

أنا من يحكم هذا القطر ولست الرمز

فرغويه (يضحك ثم يتحدث ببرود)

لا تجعلني أسلخ جلدي، أرمي أقنعتي

كي أكشف عن وجهي الكالحْ

كن حملاً أفضل من أسدٍ أجرب!! **(وهو يداعب ذقن أبي المعالي)**

(بغضب) هيا اطردها من وجهي

لا أتحمل رؤيتها جنبي

أبوالمعالي (خائفاً ومستجيباً)

اطردها.. اطردها..

أم أبي فراس

تتنكر لي.. كأبيك

فرغويه

وجهك يجلب لي الكرب

حين أرى صورة ابنك فيك،

(يضحك) ابنك ذاك المخدوع بأوهام الإخلاص لهذي الأرضِ

لأمجاد سلالته الحمدانيه

هل يفديه وفاءٌ للمبدأ، فترقُّ له الخطرات الرومانيه

أم أبي فراس

آه.. هذا زمن الأفاك الكاذب

يلغو فيه مثل الكلبِ

يدنِّسُ فيه طهر القلبِ

لكن يسمو أعلى الدرجات

أما الكلمات الصادقة المثلى فلها

كنفُ الردهات المظلمةِ
ترصُّ بها.. مثل الصور الممسوخة!!
فلأبكِ على الوطن المسبيِّ، بكاء الثكلى
فلأبكِ على الجرح المنكوء
(وهي تزفر بعمق) آه، منذ متى أنتظر الرقية
حتى صرت خرافةْ، خرافهْ
أليس كذلك يا كاتب تاريخ الدولة..

ابن خالويه

بل أسطورة، سيدتي، أسطورة

أم أبي فراس

حسناً، يؤلمني التاريخ ولكن لم تكتب بعد نهاية هذا العالم..

ابن خالويه

صائبة، سيدتي ما زالت بعض فصول القصةِ لم تكتب

أم أبي فراس

فلتبلعني الصحراء العربيه
كي أنبت نخلة، أو زيتونة
أو لتحوِّلُني (**ميدوزا**)[1] حجراً صلداً

(١) أسطورة يونانية تحكي أن ميدوزا آلهة تحول العابرين على الطريق أمامها ببريق عينيها إلى أحجار.

أعرض خلف زجاج متاحف غربيه
هيا يا عكازي قدني للألم الجارف
قدني لخريفي الشاحب
هيا لا تتلكأْ، هيا ما بالك تتباطأْ

(تخرج أم أبي فراس من المسرح، بينما يبقى الآخرون)

فرغويه

يا حاجب

الحاجب

أمرك

فرغويه

ائذن بدخول الحاشية الخاصة

أبو المعالي

(**مندهشاً**) الحاشية الخاصة!
من تعني بالحاشية الخاصة؟

فرغويه

حاشيتي طبعاً، الأخوهْ.. وبنو العم،
وأبناء الخال، وكل الخلصاء

أبو المعالي

ولماذا تدعو حاشيتك؟

فرغويه

(**يضحك**) لماذا؟ كيفْ؟!

ما دخلك أنت..أنسيت العهد
أنت الرمزْ، وأنا الحاكم بقناعك

أبو المعالي

لكن..

فرغويه

(مقاطعاً بغضب) هيا اذهب لقيانكْ
أحضرتُ لأجل الأنسِ جوارٍ كاللؤلؤ خردْ
لم يطمثهن الإنس ولا الجان
هيا أسرع واطمثهن
وألقِ زوادة شهواتكَ فيهنْ

أبو المعالي

(وهو يفرك يديه فرحاً) آه لولا ضعفي
في الشبق العارمْ
ناضلت لأجل أكون أنا بالفعل الحاكم!!

الحاجب

حاشية القائد تدخل

فرغويه

(يصحح للحاجب)
بل حاشية الحاكم يا ملعونْ

الحاجب

(ببلاهة وخوف)
حاشية الحاكم يا ملعون

فرغويه

(**لأبي المعالي**) هيا اذهب، هيا كي تخرد لؤلؤك الزاهي

(يخرج أبو المعالي حين تدخل حاشية فرغويه)

فرغويه

أهلاً أحبابي
كم كنت على شوق كي ألقاكم
لكني كنت أروِّض خيل العرب الرعناء
حتى أضحت بين يدي تتصاهل كالببغاءْ
أدنيت لكم ثمر الأرضْ
فكلوا منها دون حساب، دون عقاب
فالقانون أنا.. أنا ماذا؟

الجميع

أنت القانون..

(يعيد عليهم السؤال: أنا ماذا فيردون عليه: أنت القانون.. ويصفقون على إيقاع الكلام مع رقص بعضهم بغباء)

فرغويه

هيا الآن انصرفوا ودعوني أجلس مع ذاتي فهناك أمورٌ في الخاطر
(**أمامه لوحة الشطرنج**)..كش ملك (**يزيح الملك من الشطرنج**)

(تخرج الحاشية من المسرح)

فرغويه

يا حاجب

الحاجب

(**بتملق**) أمرك يا حامي أمن البلد وراعيها

فرغويه

دعك من الملق وأحضر لي خادمتي سيدة الأمس "أميرة"

الحاجب

في الحال (**يخرج**)

فرغويه (مخاطباً لابن خالويه المنزوي على طاولته بعيداً)

سجل يا كاتب تاريخ الدولة

أن القائد فرغويه قد محص شأن البلدِ

وطهرها من دنس الألباب المترفةِ المأفونه

حتى ساوى بين هوية كل السكان

وطبق نظريته المعروفة

أن المقتحم - ولا بأس بهذي اللفظة -

أن المقتحم حدود الدولة هو أعرف أو أكفأ

أو سجل ما شابهها، ولذا ولينا شؤون الشعب ليرعاه ويشقى من أجله

لا تنسَ آخر كلماتي: ليرعاه ويشقى من أجله (**يرددها معه ابن خالويه حين يكتبها**)

الحاجب (بصوت عالٍ)

أميرة.. تدخل **(يدخل وهو ممسك بذراعها)**

أميرة

(وهي تحاول التخلص منه)

دعني يا أحمق، دعني يا ملعون

فرغويه

أهلاً.. أهلاً بمليكة قلبي

بالوعد المتعلق في أوشاجي منذ زمنْ

أميرة

يا خائن عهد الدولهْ

أنسيت بأنك جئت إليها درويشاً، شحاذاً

تتلوى بالذلهْ

فرغويه

(ببرود) آه.. طبعاً لا أنسى لكن الفضل لما قدمت

أميرة

الفضل لما قصرنا نحوك، أو قصر سيف الدولة

فرغويه

سيف الدولة!! مسكينٌ سيف الدولهْ

ينام الآن على فرش المجد.. وسادته الواحدةُ النصر على الرومان

أميرة

آهٍ منك..الأفاك الخائن

قل لي كيف وصلت لهذا المنصبْ؟

فرغويه

بالخدمةْ الممتازة، بالحنكة

أميرة

بل ببلاهتنا..

قل لي: أوَتنكر خيرات البلد عليك

وقد جئت إليها صعلوكاً

بالخرق النتنهْ

فرغويه (ببرود)

دعكِ من شأن الدولة، والمجد

وهيا نتحدث عن فعل العشق وأهل العشق

إني قد أحببتك من زمن

حطِّي كفك في صدري **(يمسك يدها ليضعها على صدره لكنها تسحبها بقوة)**

أميرة

يا غادر، من علمك الطول على ساداتك

فرغويه

حبي الجشع لقلبك

أميرة

بل كي ترفع نفسك فوق النسب المشبوه
أتظن بأنك تحيا فوق الشبهةْ
ستظل تعيش حياتك في نظري كالقنفذْ

فرغويه

صبري بعدُ معينٌ فوَّارٌ، لم ينفدْ
هيا نتزوج كي نسعد، سيف الدولة شاهدنا الأول
نبصمه في نومه، وأما الحاشية الأولى أتخمها بالمال
أما الشعبْ: فالراقص والطبال لحفلتنا، فالقوة لي (**يرقص أمامها بسخرية وهو يردد: القوة لي**)

أميرة

هل يعقل أن يبخسني قدري سيف الدولة فيكون هو الشاهد.. رباه أنقذني!!

فرغويه

ملَّكني - بعد الإرهاق وبعد الكدح -
أمر الشعبْ

أميرة

لا تغبط نفسك فغداً
سوف يفك الفارس قيد الروم
يجرُّك مثل الكبش الأقرع في طرقات حلبْ
وستسمع أصوات الناس: الذبح..الذبحْ

فرغويه (يضحك كثيراً)

ما ألطف أحلامك يا ناعمة الخدينْ

أوما شُرفتِ بخبرٍ يحزنك

أخاف عليك مليكة قلبي أن تنهاري

أميرة

(وهي خائفة وجلة) هل نال الفارسَ مكروه

فرغويه (بسخرية)

لا ليس إلى حد المكروه..كل الأمر أني

خلَّصتُ الجسد المرهق من ثقل الرأسْ

أميرة

(تضع يديها على خديها وتقترب منه تنتفض، ثم تمسكه بقوة من خناقه)

قُتل الفارسُ

أنت قتلته، أنت قتلت المستقبل فينا

لم يقتله الروم، لم يقتله الروم

(تتأمل يديها كأنها القاتلةْ)

يا ويح الشعب إذا عاش بلا أملٍ أو مستقبلْ

كنا نترقب أن يفدي المستقبل سيف الدولة

(تتنهد بعمق وهي سارحة.. فترة صمت)

إني أبصر طلعات فلول روميهْ

تتقدم نحو حلبْ.. دكت حصناً، قلعهْ
قطعت نخلاً، ذبحت طفلاً..
تهدم أسوار حلب.. تتقدمْ
تقتل، تحرق، تسبي، تنهب، تتوالد
في الأرصفة وفي الطرقات
(وهي تسقط على ركبتيها) تسقط حلبْ.. " تكررها "
أصوات خارجية مدوية
(أصوات خلفية، صياح، عويل، صليل سيوف)
سقطت حلب، سقطت حلب **(تتسارع الأصوات فوق بعضها)**

(يدخل أبو المعالي مرعوباً بملابسه الداخلية ولا يدري ما يفعل، وتسود المسرح جلبة والأضواء تتأرجح بين الظلام والإنارة)

أبو المعالي

افعل شيئاً فرغويه
أين الجيش؟

أميرة

كيف يدافع جيش ضائع؟

أبو المعالي

أين الشعب؟

أميرة

كيف يدافع شعب جائع؟

(يحاول فرغويه الخروج، ويمسكه أبو المعالي)

أبو المعالي

هل تذهب كي تدفع جند الروم عن القصر؟

فرغويه

بل كي أنقذ جلدي، ثرواتي في الخارج تغنيني
واجه أنت مصير الدولهْ
هزُّ الأكتاف **(يهز كتفيه)** ليرجع ملك ضائع
سأزورك في كل الأمصار العربية
فمروءة قلبي لا تنسى الفضل!! **(يخرج)**

أبو المعالي

(يصرخ بجبن طالباً عون فرغويه)
لا تتركني وحدي فرغويه..
كن جنبي!!
أنت وضعت الأحمال على صدري..
أنا لا أفقه شيئاً من هذا الأمر **(يصرخ باكياً)**
يا ويلي سيمزق جلدي الرومان
كن جنبي لا تذهب **(تسمع ضحكات فرغويه تتخلل كلمات أبو المعالي)**

أميرة

الآن فقط تعرف من هو فرغويه!!

سيوسدك القهر الآن.. يسومك أعتى التنكيل!!

وسندفع نحن إتاوتكم، يا ويح فؤادي من لعبتكم هذه

الكورال

سقطت حلب بأيدي الرومان (**تتسارع العبارة نفسها، يسود المسرح ظلام وفوضى**)

تتلاشى الإضاءة

المشهد الثاني

(إضاءة خفيفة بالمسرح لكنها كافية لإظهار الأشياء والشخوص، يبدأ المشهد بأغنية كورال خلفي، بينما لا يزال منظر الأمير وهو نائم مع الأربعة الذين يستندون إلى قوائم سريره، ويبدو ابن خالويه وهو يسجل شيئاً في سجله وقد طالت لحيته أكثر)

الكورال

وطني الضياء والسناء،
كنت في سمائنا، وكنت في أحلامنا
مشاعل الصلاهْ
وكنت في اندفاقة الشروق هالةً من الحياه
فأين أنت من سمائنا.. أين من أحلامنا
يا موطن السُّراه

(يقوم ابن خالويه إلى سيف الدولة ليوقظه من منامه)

ابن خالويه

يا سيف الدولة.. قم يا سيف الدولة

(يتململ سيف الدولة في نومه)

ابن خالويه

قم يا سيف الدولة..

لا ترهق نفسك بالأحلام الورديهْ

سيف الدولة

(**بتأفف**) أُوه قلت لكم خلوني أرقد كي أحلم

ابن خالويه

ماذا تجديك الأحلامْ..

سيف الدولة

(**يتقلب في نومه**) قلت لكم خلوني، يا حاجب، يا جلاد

هيا اقطع رقبة هذا العاصي

ابن خالويه

لا حاجب، لا جلاد، ولا دولة

هذي قاعة محكمة يا هذا!!

هيا قمْ

سيف الدولة (يقوم غاضباً، منفوش الشعر، ينتفض)

(**متأففاً**) أوه..

لولاك لكنت على مقربة من إنهاء بناء الدولة

سوف أصب عليك جحيم الغضب، سأقتص لنفسي منك

لماذا تتجرأ.. يا ملعون لتوقظني..

يا سياف.. أسرع بالسيف أو البلطة هيا اقطع رقبة هذا العاصي..

ابن خالويه

هل صُمَّت أذناك..؟

لا يوجد أحد البتة، لا يوجد (**يصرخ في أذنيه**) لا يوجد

سيف الدولة

(**كالفاقد عقله لا يدري أين هو**) لماذا تفعل بي هذا، أتذكر أني كنت الحاكم والسلطان!!

لماذا توقظني إن كانوا ذهبوا للنوم، هل تفزع يا.. يا.. من اسمك، قل لي؟!

ابن خالويه

أوَلا يعنيك سقوط حلب

سيف الدولة

ح..ح.. حـلـبْ، أيـة..أيـة..واح..واحـدة مـنـهـن فهنَّ..كث..كث..كثرُ؟!!

(**يضحك ببلاهة**) هن كثر، أية حلبٍ منهن؟!!

ابن خالويه

هل تذكر يوماً أنك أسست إماره
وزرعت بها الأمجاد
شيدت عليها بنياناً بالعزة والسؤددْ
وحميت سماها من كل شراره

سيف الدولة

آه.. أتذكر شيئاً من هذا.. أجل أتذكر (**ويده على جبينه يفكر**)

ابن خالويه

تتذكر!!

(يتأمل سيف الدولة المكان، وكأنه أصبح قديماً، ويكاد يسقط حين يعرقل رجله جسد أحد الرجال النائمين)

سيف الدولة

كنت هنا أجلس

هذا عرشي..

في هذا الموضع **(يشير لكرسي العرش)**

كنت أنا الخصم **(يضحك)** وكنت أنا الحكم، تصور **(يضحك)**

لما لا تضحك، آه... وكانت **(يضحك)** وكانت حاشيتي تشخر خوفاً أن تستيقظ فأقيم عليها حدود شريعتنا هل تتصور، ما اسمك يا هذا آه؟

ابن خالويه

ونسيت اسمي..

لكنك لن تنسى ابنك، من أوصيت إمارته بعدك..

سيف الدولة

آه.. ابني أين هو؟.. ساعدني كي ألقاه، أين هو؟ **(يدور حول نفسه، ويبحث عنه في الزوايا)**

ابن خالويه

ابنك في حضن المومس..

سيف الدولة

في حضن المومس.. ماذا يفعل في حضن المومس؟

ابن خالويه

هو ابنك أنت.. تعرف كل خصائصه ومزاياه!!

سيف الدولة

وفرغويه.. قائد جيشي المخلص

ابن خالويه

قائدك المخلص!!

قائدك المخلص نطْ

سيف الدولة

(لا يزال كأنه في غيبوبة)

نط.. وشط.. وحط!!

لا أفهم هذي التهويمات

آه أين أنا..؟

أشعر بدوار أو دوخة

ابن خالويه

هل تعرف يا سيف الدولة كم من زمن نمت؟

سيف الدولة

يوماً أو بعض اليوم..

ابن خالويه

يحكي التاريخ **(وهو يقلب دفتره)** بأنك نمت لأعوام ألف أو نيف..

سيف الدولة

حسناً.. حسناً، أين قيان القصر، أين غواني الإيوانْ

أين الحراس.. يا حرا سْ، يا حجاب، يا مسرور، يا جيشْ

(فترة صمت) يا شعبْ

(مباشرة بعد الكلمة الأخيرة يدخل المسرح أبو فراس والمتنبي وقد ملأ الدم ثيابيهما، وأم أبي فراس وهي حافية القدمين، وأميرة، في ثياب بيضاء وكأنهم أشباح يدورون حول سيف الدولة وهو خائفٌ مرعوب يدور في وسطهم، مع موسيقى وهمهمات مرعبة، ثم يتسمرون)

صوت خارجي

محكمه.. مه.. مه

(ابن خالويه يجلس على كرسي العرش، المكان يشي بقدمه)

سيف الدولة

(وهو خائف لكنه سرعان ما يتماسك ويقبل ناحية أبو فراس وكأنه لم ير ابن خالويه وهو يجلس على الكرسي)

ابن خالويه

هل تعرف يا سيف الدولة هذي الأوجه، انظرها وتأمل، هيا..؟

سيف الدولة

(وهو يتأمل الوجوه، ويرى الغضب باد فيها)

أبو فراس.. (يضحك ليستر خوفه)

أعرفكْ
أتظن أني أجهلكْ..
إن كنت قد ربيت فيك بطولتكْ
و.. وضعت في كنف الفخار رجولتكْ
أعرفكْ..
آهِ.. يا شقي
.. هلا وصفت لنا بسالة قلبك في سجون الروم
أعرف أنك الشهم الوفي..
من ذا يفوقك في الوفاء، يا أمة فيه لوحدكْ
هيا تكلم.. أي شعر قلت في الأسرِ تكلم!!
لا بد أن السجنَ
أثرى التجربة.. هيا تكلم.. هيا تكلم يا صديقي.. **(وهو يضرب على كتفه)**

(يظل أبو فراس واجماً لا يتكلم، يتحرك سيف الدولة إلى المتنبي)

سيف الدولة

هذا المتنبي، شاعرنا
ولسان الأمجاد
هل تعلم أني اشتقتك
لكن كان لدي من الأسباب لنفيكْ
..كان يروق فؤادي شعرك

كنت حكيماً، ورزيناً..
آهٍ لو ظلت أشعارك دون طنين
وهباتك كتواضع كل المداحين
لم لا تتكلم.. **(يظل واجماً يتحرك إلى أم أبي فراس)**

سيف الدولة

آه.. جدتنا أم أبي فراس
فارس دولتنا الكبرى
قلتِ إن شقوقاً دبت في قدميكِ
وأنت الأعلم أن إهاب الصحراء العربية
ينضحُ بالحمى
كنت تريدين فداءً للفارس
هذا هو جنبك **(وهو يربت على أكتاف أبي فراس ويضحك)**
جسداً حياً، هل حقاً قصرت؟
(لا تتكلم، يتحرك نحو أميرة)

سيف الدولة

أميرة، يا أنس ليالي حلب الحمدانيينْ
يا زهرة المدائن المعطِّره
اشتقت لقبلاتك، للعطر الناضح من جسدك
لشبابك هذا الفوَّار بصوت الحلم
ياحلوة من ذا يتجادل في حسنك

قولي ماذا كان مصيرك في نومي
طبعاً صانوك، وحفظوا شرف وصيتنا المختومة
حسب القانون الملكي الأعظم (**لا تتكلم**)

سيف الدولة

(يدور على نفسه ويخاطبهم جميعاً، ويحاول أن يسهل الأمر بالمداعبة)

أصحابي أحبابي، خلاني، كلكم اليوم هنا، قولوا شيئاً، حسناً لم لا نحتفل بهذا اليوم.. (**ينظر إليهم ووجوههم عابسة**) حسناً (**ينادي الحاجب**) يا حاجب، يا مسرور، حضر للرقص غوانينا، آه فكرتنا ستروق، أليس كذلك؟ (**لا جواب، يغضب**)

هيا.. قولوا شيئاً.. أنسيتم صاحب أفضال الدولة والناس
نسيتم أني سيف الدولة، سيف الدولة يا بلهاءْ
(**يخاطب ابن خالويه**) من يحلم فينا يا هذا..
هل أنتم أشباح، أم ماذا؟

ابن خالويه

يا سيف الدولة، قابل غرماءكْ
دافع عن نفسكْ
إن ينفعك تعاليكْ

سيف الدولة

سيف الدولة، سيف الدولة!! لا مولاي دون شعور أدنى

بالتقدير
أنسيت بأني الحاكم
يستوجب ذلك إجلالي، تقديري، أنسيت
مؤرخ دولتنا، ومعلمنا..
ثم لماذا تقعد في كرسي العرشْ، وتضعني بين يديك
هل حلم هذا أم كابوس؟

ابن خالويه

كنت أنا كاتب ديوانك لا أنكر
لكن التاريخ الحالي حوَّلني لوظيفة قاضٍ

سيف الدولة

(وكأنه يشعر بدوار، يمسك رأسه)
قاضٍ!! **(يضحك)**
آه..يبدو أني مجنونٌ حقاً لم أعهد حلماً
في شكل الحلم الحالي، أنا أتحرك يا ناسْ
(يخطو) واحد.. اثنان.. ثلاثة.. أنا أصرخ **(يصرخ)**
هِيْ.. هِيْ.. أسمع صوتي.. يتردد.. أسمعْ

ابن خالويه

أين أبو فراس فليتقدم
بملفات قضيته ليواجه خصمه

أبو فراس

(يتقدم نحو سيف الدولة، يدور عليه ثم يعطيه رأساً صناعية كان قد خبأه في خرقة قديمة ملطخة بالدم)

خذ هذا...

سيف الدولة

(بخوف)

ما.. ما.. ما هذا..

أبو فراس

هذا رأسي..هيا خذه تذكار وفاءٍ

علقهُ في شرفة قصركْ

أو أطرهُ ليصبح أجمل صيدٍ من يمناكْ

أو ضعه فوق ذؤابة سيفكْ

سيف الدولة

دعك من المزح، أبو فراس

أنت أريبٌ، كيف تفكر أن تهديني رأسكْ

(يضحك بلاهة) أتريد العيش بدون الرأسْ

أبو فراس

لا يفرق عندي فالشعب يعيش بلا رأس

سيف الدولة (يضحك)

بلا رأس.. الشعب يعيش بلا رأس

يا خفة دمك.. سجل هذي النكتةْ في دفترنا (**لابن خالويه لكنه لا يسجلها**)

(**ويستمر في الضحك**) بلا رأسْ..

لكن كيف تأتى أن يحيا الشعب بلا رأس

أبو فراس

في ظل عدالتك المثلى، لا يحتاج الناسُ

لكي يمشوا برؤوسٍ، فالطرقات مُناره، والآمال مشاعه

والسيقانُ تقود الأجساد.

سيف الدولة

عن أي بلاد تحكي.؟

أبو فراس

أحكي عن موئل مجدي

عن حلب الحمدانيين

حلبٌ ذاك الضرع هزيلاً أصبح

تعصره أيدي الرومْ، فينزُّ دماً

ويسحُّ جراحاً

سيف الدولة

هل أذنبت وقد أفنيت حياتي

من أجل المجد الحمداني

أبو فراس

بل من أجلك أنتْ

شعراؤك كانوا أكبر من جيشكْ

وعيونك أوسع من شعبكْ

سيف الدولة

من أجل السلطة

من أجل الأمن، الاستقرارْ

أبو فراس

(بغضب)

والمستقبل ملقى كنفايه

في خرشنة أو القسطنطينية يتقيَّأ أملاً مخنوقاً

والقيد المبرح، في معصمي الدامي

وعجوزٌ تستجدي الأمل على أبوابك

هل تذكر من كنت أنا؟

سيف الدولة

عضدي، سندي، حامي أمن الدولة

أبو فراس

حتى واتتك الفرصة فاستبدلت الألفاظ

صرت أنا المستقبل: روعك المستقبلْ

صرت أنا الفرس الجامح فكبحت جماحي بالأغلال

سيف الدولة

كنت أميِّز بين الأشياءِ،

أعرِّفها أكثر، كي أملك معجمي الخاصْ

(يلوي عنه أبو فراس فيعطيه الظهر وكأنه يخاطب نفسه)

أبو فراس

أجل كي تملك معجمك الخاص، خالياً من اسمي أبداً..
(ويتأمل)

ابن خالويه

أبو الطيب، فليتقدم بمرافعته

أبو الطيب

وأنا أهديك لساني **(يقدم له لساناً صناعية)**

منذ هروبي من منفاي القسري

لدى كافورَ الإخشيديَّ بترتُ لساني

سيف الدولة

أعرفت الآن بأني أعلى من كافور ومن حكام الدنيا

فلماذا أذللت الشعر ليتوسد أرجل كافور..؟

لماذا يا أحكم شعراء الدنيا؟

أبو الطيب

حسبتك تعرف قدري، فترحلت

لكن الظن أصاب القلب بنكبات أخرى

حتى انشطر دواوين تتزيا به كل الحانات العربيهْ

سيف الدولة

هذا إنجاز رائعْ

بالتأكيد ستخلد يا متنبي، وسيعرفك المخمورون

ويتغنون بأشعارك في الأرصفة الخالية المفجوعة!!..

أبو الطيب

(بنوع من السخرية)

أوه.. بالتأكيد لا تعرف يا سيف الدولة

أو خنجرها.. كم أعلاك مقاماً شعري يا بطل الأبطالْ

أصبحت الأسطورة في التاريخ

كم حزَّ على قلبي تشنيف الآذانِ بكذبٍ عن عدد ضحاياك،

قوة جيشك.. تصويرك فوق المخلوقات عظيماً لن يلد التاريخ له نداً!!

ابن خالويه

أرجو أن تلتزموا بالدعوى

أبو الطيب (يسترسل)

ولهذا لا حاجة لي للسان

خذه - وربي - صار الآن فداكْ!!

سيف الدولة

وكيف تعيش بدون لسان

أبو الطيب

كالشعب
يعرف قائمة الأكل، وقائمة المحظورات
يرقص ويهمهم لا يعنيه لسانْ
يمقته حين يفتش بفضول شحنات الأكل الواردْ
يحترم القانونْ، والقانون يؤول مصدر لسنَ
بمعنى احتجْ

سيف الدولة

كنت أخاف على الشعب من النحو
من الإعراب، من الصرف، من الاستدلالْ

أبو الطيب

خوف الاستقلالْ

سيف الدولة

الاستقلال من اللقمة؟!! **(بسخرية)**

أبو الطيب

الاستقلال من التخمه!

سيف الدولة

إن كنت أنا طهرت الأرض من الدنس الفاجر
من غلواء الحقد، ومن خطر الرومان
أفليس لي الحق بأن تخضع لي كل المخلوقات؟!!

ابن خالويه

لا أسمح أن تجتاز حدود المنطقْ

أبو الطيب

أنت وصيٌّ وخليفه
أنت الراعي، أرأيت وقد أسماك الشعب
بفضل سجاياك عليهْ، أتجور عليه؟

سيف الدولة

أجور عليه..!!

أبو الطيب

تكبته
تفقأ أعينهُ كي لا تبحث عن نور
وتصادر في نقط التفتيش مداركه

سيف الدولة

العقل إذا استيقظ يتمرد

أبو الطيب

القوة للعقل.
هل ينصفك التاريخ إذن؟!

ابن خالويه

يكفيك أبا الطيب، فلتتقدم إحداكنْ

(تتقدم أميرة لسيف الدولة)

أميرة

وأنا يا سيف الدولة هل هنتُ عليكَ

لتلقيني ما بين مخالب ذئب؟!

سيف الدولة

ذئب (**يضحك وينظر إلى الجميع**) هل يوجد ذئبٌ في دولتنا؟!

هاتوه إلي لأشرب من نجعِهْ

أميرة (تستطرد)

قد كنت أميري، لا أعتز سوى بفخارك

أتزين لك، أتجمل لك، ألبس أجمل فستانٍ

حين تجيء لقلبي مفتوناً بي، أحضنك بغنجٍ ونسافر في أعماق البهجهْ

أوَتذكر تلك الليلة القمريه

في السنة الهجريه

قلت كأنك سيدة الماء، وسيدة الأحلام العربيه

وأنك نهرٌ من سوسن، وضفافٌ من عِزهْ

سيف الدولة

أذكر، لكن الوصف لأحد الشعراء

ابن خالويه

سأدوِّن هذا في المحضر

أميرة

تباً إن كنت تخذت الشعراء مصانع لكْ

سيف الدولة

قولي لي: مَن كان الذئب؟

أميرة

تربي ذئباً في قصرك
كي تطلقه مسعوراً يفترس الغنمَ
هل تتظاهر بالجهل..!!

سيف الدولة

قل يا قاضٍ: من كان الذئب؟..

ابن خالويه

(**باستهزاء**) من كان الذئب؟!!
قائد جيشك طبعاً.. (**بسخرية**) هاه من كان الذئب؟

سيف الدولة

آه، آه، أدركت الآن، تعنين غلامي التركيْ فرغويه
ذاك غلامٌ مسكيٌن أشفقت عليه

أميرة

بل ذئب مفترس أكل هشيم الزرع
وأخضره، أكل التاريخْ

سيف الدولة (لابن خالويه)

قل لي: ماذا فعل غلامي المسكينْ؟

ابن خالويه

لم يفعل شيئاً يذكر، ليس سوى أمر تافه
ثق أني سأبرئه منه..

سيف الدولة

ما ذاك الأمر التافه؟..
سرقة مدَّخراتِ الدولةِ من بيت المال
استغلال المنصب

ابن خالويه

أتفه من هذا..أتفه..
تسليم مفاتيح الدولةِ للرومِ فقط!! **(باستخفاف)**

سيف الدولة

عظيمْ سيدون لي التاريخ
بأني هيأتُ غلاماً دخل التاريخْ
من عتبات حلبْ

ابن خالويه

جميل هذا، شيء رائعْ
أمير حلب يدخله غلامٌ تركيٌّ في التاريخ
فلتتقدم أخرى..

(تتقدم أم أبي فراس للمرافعة)

أم أبي فراس

حافية كنت أجيئك

أنتعل الآمال

وأستنهض فيك القربى

وقعيداً ما زلت تراوحني

العِلل، تهون لي الخطبا

أغسل جدران بلاطك بمواويلي

يلفظني القصر جراحاً أو غضبا

سيف الدولة

يا جدَّه، قلنا ورجونا مرات

خلِّينا من سالفة القربى هذهْ!

أم أبي فراس

القربى معناها الوطنُ

وقد صيَّرتِ الوطن هويهْ

سيف الدولة

القربى موئلها القلب

وهذا يتنافى مع شرع القانون

القانون العقل، وأنت العاطفة

فكيف سنبني الدولة يا جده؟

أم أبي فراس

لكن هذا (**تشير لأبي فراس**) ليس ابن العم
إن كنت تقدس قانونكَ
هذا ميلاد الخصب المتجددْ

سيف الدولة

بل زند الشعب المتنامي
خطراً يتوقد

أم أبي فراس

أتناسيت طفولتك المزهوةَ في كفي
أرضعُك الدفء الممزوج بمجدْ

سيف الدولة

ولهذا آنف أن يشركني التاريخ أحدْ

أم أبي فراس

فنفضت يدي منك
وأنت تضاجع روميهْ

سيف الدولة

كي أنسل منها مغفرةً
تشفع لي ذنباً وغويهْ

أم أبي فراس

ما بال الغيد الحلبياتْ؟

سيف الدولة

يكسوهنَّ الثلج
كرتم الموسيقى الشرقيهْ
كل حريم الشرقْ
لا يعرفن الوهج المحموم!!

ابن خالويه (وقد رأى أبا فراس يتحفز لقول شيء ما)

أبو فراس.. أفرغ ما في جوفك كمداً
أعلم آلامك وجراحكْ

أبو فراس

آه يا سيف العربْ
قد كنت "للجبل المشمخر
لي، لقومك، بل للعرب"(١)
كم لامني في ولائك بعض الحسودْ
لكن أزلتُ بكل سجاياك أمر العتبْ
وكم حرَّض الروم قلبي عليك
وحرَّضني المغرضون فما كُنت يوماً حطبْ
أترزؤني فيك "كنت الحبيب وكنت القريب
لياليَ أدعوك من عن كثبْ"(٢)

(١) البيت لأبي فراس الحمداني.
(٢) للشاعر نفسه.

سيف الدولة

(**بغضب**) هيه.. هل أصبحت العار..
تناوشني أسيافكم المسمومة. كفُّوا عني
أوَلستُ بحاكم هذا البلدِ المترامي الأطرافِ.. ألا ترتاعون لاسمي
سيف الدولة.. سيف الدولة

ابن خالويه

كان مصقولاً ولامع

سيف الدولة

يا ابن خالويه..حتى أنت!! (**لابن خالويهْ**)

ابن خالويه

أنا القاضي لا ترشقني بالألفاظ

سيف الدولة

أنا الحاكم أمليك كما شئت أنا، هل تفهمْ
أنتَ.. لست سوى كاتب أرشيفْ

ابن خالويه

يا سيف الدولة، ما يجدي التهديد
وقد سقطت منا حلبُ مدينتنا..

سيف الدولة

(**يقف مبهوتاً**)

سق.. سقط.. سقطت..ح.. حل.. حلبُ
سقط.. سقطت.. ح.. حلبي.. حلبي سقطت؟!!

ابن خالويه

سقطت في آخر أيامك
كنتَ على عرش الماءْ

سيف الدولة

سقطتْ.. كيف؟

أبو فراس

حين ذُبحتُ أنا..

المتنبي

و نُفيتُ أنا..

أم أبي فراس

ووئدتُ أنا..

أميرة

وسُبيتُ أنا..

ابن خالويه

ورزئتُ أنا..
(**قائماً يحيط بسيف الدولة**) أو تذكر حين نفيت أبا الطيب
فقدَ نشيدُ الدولة الوطني الكلماتْ

المتنبي

كنت أعزِّي بك عار الخوف من الكلمه

كنت الأمل المتبقي للأمهْ
حيث ظننتك إذ قرَّبتَ الشعر فقد أمَّنت الحريهْ
لكني همت على رأسي
دون هويهْ
أبكي الزمن الضائع في ركبة كافور
حين وقفت مع الببغاواتْ كالمستأجر في طابور
أتذكَّرُ هيبة سيف الدولةِ وشهامته
أترجل لكنْ يفجؤني كافورْ

ابن خالويه

أو حين ذبحت الفارس

أبو فراس

كان ثواباً جزلاً
حين ذُبحت، وطوِّحت على الشارع جيفهْ
كنت أظن - ما أطيب قلبي حين يظنْ - أن الإخلاصَ
سينمو في أفيائكَ، يوماً ما تحملني عرشاً للآمالْ
وتعلِّقني قمراً في أجواء حلبْ
كنت أظن، أظن، أظن، فطُوح ظني

سيف الدولة

هل كنت تظن بأني لم أفطن
لشبابك حين سيغشاني ألماً مراً

حين تكون القمر وأصبح عرجوناً
يتدهن بالأمجاد المغبره؟!!

ابن خالويه

لكنك أثكلت الشعب المستقبل
واحتجبتْ في الغرفات الآمال الشعبيه

(ينهض الرجال الأربعة بعد سماع هذه الكلمة الأخيرة)

رجل١

الشعبيه!!
(لأصحابه) قوموا قد خَلُصَ أمير حلب
من قاموس الكلمات الشرقية

رجل٢

(ينهض فرحاً) هيه.. كلمات شرقية
(لرجل٣) انهض يا هذا..

رجل ٣

كلمات شرقية، وبأي لسان تلفظ هذي الكلمات؟

(يتوجه الرجال الأربعة نحو الجمع)

رجل١

أين أمير حلبْ

ابن خالويه

كان أمير حلب

أم أبي فراس

كانت حلب

أميرة

كنا نحنُ

رجل٢

يبدو أنا أدمنا الكان وأخوات الكانْ

رجل٤

(**لابن خالويه**) أنت أمير حلبْ

ابن خالويه

هاكم إياه (**مشيراً إلى سيف الدولة**)

(**ينظر الرجال الأربعة بعضهم إلى بعض دهشة واستغراباً**)

رجل٢

أتصور أنا صرنا أصحاب الكهف

رجل٤

بل..بل..أصحاب التخت الملكي

(**يضحك الرجال الأربعة**)

سيف الدولة

(**مقاطعاً ضحكاتهم**)

من سمح لكم أن ترتادوا قصري

ليس لكم غير الإعدامْ

يا جلاد.. **(لا يجيب أحد)**

(ينتفض الرجال الأربعة)

ابن خالويه

مذ قليلٍ أخبرتك أنَّا في محكمةٍ

لا تتجاوز حدكْ، وتلطَّفْ

حين تخاطب من كانوا يوماً ما (....) آه ما أغلاها من كلمه

سيف الدولة

قولكَ وهْمٌ، هيا انظر كيف أجازي الغوغاءْ

(للرجال الأربعة) جلوس **(يجلسون)** قيام **(يقومون، ويفعل هذا مراراً)**

أما الآن فناموا يا بلهاءْ **(ينامون، يضحك)**

أرأيتم مازلت أنا الحاكم لم ينزع قلبٌ هيبتي الكبرى منه

هيا ناموا **(ينامون)** هيا قوموا **(يقومون)** ناموا.. قوموا.. ناموا.. قوموا.. ناموا.

ابن خالويه

(يصرخ فيهم) هيا قوموا..**(ينتصبون)**

أبو فراس

لكنك منهزم في نفسك

إذ تحكم بالأمر وبالنهي

أميرة

اشتقنا لك سيفاً يجترح الأحلام
فتوحات تترى
واشتقناك فؤاداً يلمس فينا الجرح
فيرقؤه هممماً تستنهض غفوات العالمْ

أم أبي فراس

كنا نحسب أن الملك لديكْ
آمال الشعبْ
وأنت النجم الساطع يتقصاها
أنى سكنتْ
لكنك قطعت علائق كل الآمال

سيف الدولة

أنتم لا تدرون عن الملك البتَّه
من يتحكم في الأمواج الهادرة من الزهو
من يكسر قمم المجد المتسامقةِ
ومن يهزم إغراء الطاعهْ

أبو فراس

لكنك تدرك أن الشعب يريدك أملاً
ويريدك ظلاً

لكنك أصبحت السجَّان، وأمسيت القيدْ

المتنبي

وكنت له دفء الكلمات وقد أضناه السيرْ

فصرت اللفح تصب بآذن الشعبْ فعل الأمر

وفعل النهيْ

أم أبي فراس

أوتذكر حين نصحتك أن تقرأ

شيئاً من ذكر اثر

كنت أحس بأنك ساعتها محتاج أن تعرف نفسكْ

وظللت ألح عليك.. لأثنيك عن الحرمان

لكن أغراك السلطانْ

ابن خالويه

(للرجال الأربعة)

قولوا ما شأنكمُ، داروا الحرج بعيداً عنكم، لم جئتم لأمير حلب..؟

رجل٢

كي نعرف وجههْ

حتى لا نخطئه في الشارعْ

رجل٤

كي نبلغه أنا نحن الآمال لينظرنا

رجل٣

كي نسأله أن يكسينا أثواب النعمة إذ نفقدها

رجل١

جئناه لنعرف أن لحلب أميرْ

بعد رهانٍ حول الأمر بألف بعيرْ

سيف الدولة

تضحكني دعواكمْ

تضحكني هذي الكلمات المبتكره

تضحكني هيئاتكم الرثهْ.. **(يضحك بقوة، فتنتابه نوبة قلبية ويخر صريعاً ثم تبدأ أغنية)**

كورال

أمير حلب وأمير العرب

وسيفاً صقيلاً يجلي الكرب

حسبناك تدفع عنا النوب

فكنت الرياح وكنت الغضب

وأنزلت فينا الضنى والوصب

أمير حلب وأمير العرب

أمير حلب وأمير العرب

أم أبي فراس

هيا أصبحوا طللاً ينوح

في بلاد ما لنا فيها قرار..
ودِّعوها، قبِّلوها،
إنها أغلى الديار
واسألوها المغفره
فقد اخترتم فراراً
وتركتم أرضها
قصعة للطامعينْ

أميرة

لا.. لا.. لا تزال الشمس تطلع في بلادي
تنثر الآمال في سفحٍ ووادي
وتروي الزهر كي ينمو وينمو
كي ينقى السفح من سمِّ القتادِ
هيا قوموا انتشروا.. ودعوا اليأس
فلا تبنى من اليأس بلادي

المتنبي

هيا بنا نحيا، سأنفث في شقوق الأرض
روحاً وصلاه
وبشعري سوف أبني قمماً تعلو
ببيد وفلاه
فإذا الناس ارتوت من منبعي

عرفت مجداً وغنت للحياه

أبو فراس

أماه، هيا ثبتيني
أملاً أنمو، وعشقاً يرتجى

أم أبي فراس

كيف تحيا دون رأسٍ يا بنيّ؟

أبو فراس

سوف ينبت رأسي الآخر
يا أماه، حسبي طينةً منك وروحاً
نصبوني حاكماً سوف يرى
وطني الحب وأقمار الشباب
سأروي أرضه عزماً وعزا
كيف تحيا أمة دون الشباب
بايعوني للوفاء

الجميع

نبا..

(يقطع كلام الجميع صخب كبير فإذا بالدمستق قائد جيش الروم يدخل ومعه فرغويه وحرسه يطوقون الحضور)

الدمستق

تبايعون أبا فراس.. أفٍّ لكم

أبو فراس

الدمستقْ..أنت يا رومي

في حَلبي العزيزة يا حقير!!

الدمستق

بُعيد سقوطها الفعليِّ،

جئت لكي أوطِّدَ أمنها.. وأجدد التاريخ

هذا عهدنا المألوف من عام لعام!!

لأم أبي فراس

أوَكنت بين ظهورنا!!

الدمستق

أوَما علمت بأنني في الأرض منذ قرون أيتها العجوز؟

أميرة

ونعيش تحكمنا الذئاب!!

الدمستق

بل سوف يحكمكم سليل الفخر.. **(يشير إلى سيف الدولة، فيهرع اثنان من جند الدمستق ليدفعا ابن خالويه من كرسي العرش ويضعا سيف الدولة)**، ويظل خليفته هذا الضرغام المقدام **(يحضر أبو المعالي وهو في ملابسه الداخلية مبهوتاً)**

أبو فراس

أنت الآن هنا في قعر الدار

أولا تخشانا.. هل تذكر هيبتنا
نحن المشهود لنا أن لنا الصدر أو القبر؟

الدمستق (يضحك)

كنا نخشاكم يوماً
يوماً ما.. لكن أسقطنا من روزنامتنا ذاك اليومْ
حين المبدأ للقوة
والقوةُ سلطان الحاكم والشعبْ

المتنبي

كدنا نقترب من السبق التاريخي، نعين هذا الفارس **(يشير إلى أبي فراس)**؟

الدمستق (يضحك، ساخراً)

هذا قدر يا متنبي، خصص ملحمة فيه وقل فيها ما شئت

سيف الدولة

(يضحك كثيراً، يشير عليه الدمستق أن يتوقف فيمتثل لأمره)

هل ظننتم أنني مت
أجل نمت
وما مت
وكنتم تحلمونْ
كنتم تحلمون

الكورال

كنتم تحلمون.. فعودوا للمنامْ

لم تكن أحلامكم إلا كوابيس الظلام

(ضحكات متداخلة)

نهاية المسرحية

مسرحية

أرجمند

ملحمةُ الحبِّ والخلود

صفحة بيضاء
رقم ١٢٦

بداية المسرحيّة

(شاهجيهان بين قضبان السّجن، يستعيدُ الذكريات في شيخوخته)

شاهجيهان

صبّت كؤوساً من هواها حتى أذابتْ من جواها
غفرت لكلِّ خطيئةٍ لكنّها لامت خَطاها
فكأنّها أفوافُ زهرٍ قد رعى الغيمُ رُباها

يختفي شاهجيهان والسّجنُ، يُفتح المشهدُ على (**أرجمند**) التي يتوسّلُ لها الخطّاب وهم منجذبون إلى جمالها، كلهم يتسابقون للفوز بحظوتها، وموافقتها على الاقتران بهم، وهي معرضةٌ عنهم، وفي خلف الساتر ظلُّ حبيبها الذي تتمناه (**شاهجيهان**) وهو يقاتلُ في الثغور..

الخاطبون

أرجمندْ
أرجوحةُ الحسنِ الوضيءِ
تأرجحت بقلوبنا، يا للجمالِ إذا أفاضَ بقطرهِ نحو القلوبْ
أرجمندْ

يا درّة الغُرِّ الحِسانْ
في السندِ أو في الهندْ
مدِّي يديكِ، واهزجي بالأغنيات
قلوبنا يا أرجمندُ لك المعازفْ

أرجمند

عودوا إلى الليلِ المسامرِ..
ربّما نجماتهُ يحضنَّ أحلاماً كبار..

الخاطبون

هل كنتِ يوماً يا فتاةَ الحلمِ
إلّا أرجمندْ
نسرينةً تهبُ الدروب عطورها
والليلَ معطفها الوضيءْ

أرجمند

(تخاطب شاهجيهان الذي يقاتل في الثغور، ولا يظهر سوى ظلّه من وراء الأستار)

يا فارسي، يا من تقاتلُ في الثغور..
يا شاهجيهان..
قد طال بي هذا المقامْ
وأنا أطالعُ عند قصري جملةَ الخطّابِ في كل المواسمْ
لا حاجةً إلّا هواكَ تحيطني، ما لي معازفُ غير حبّك سيّدي

فاخلص إليَّ، أنا هنا..

الجوقة

مسكينةٌ يا أرجمندْ

ذري غناءكِ في الحقولِ، واصدفي عن ذلك الشبح البعيد

لا تحلمي يوماً يعودْ

أرجمند

بل إني أسمع خفقَ خطوتهِ البعيدةِ يقتربْ

وأراه يحتضنُ الزهور، يلفُّها بيديهِ، يدفئها بأشواقٍ حميمهْ

عند انسيابِ النورِ من جسدِ السماءِ يجيءْ.. (**يتصاعد حديثها**) ها يدنو مني الآنَ

يقتحمُ الحقولَ، ليقتفي نسمات أزهاري، فأوشك أن أقول:

أنت الهتافُ الآنَ في شفتَّي.. أنت هنا.. يا شاهجيهانْ

(يخرجُ شاهجيهان إلى الجميع وسط الذهول..)

المغنيّة

ملكت سرّ فؤادي، سيدي فبدا ما لا أطيقُ من الحرمانِ والنّصبِ

فصار ليلي فضاءً موحشاً، جَهِماً تهمي به جمراتُ الشوقِ كالشُّهُبِ

أذوي، فتنعشني الآمالُ ثانيةً فأحسبُ الحبَّ منسوباً إلى الكَذِبِ!

حتى أطلَّ الذي أهفو لطلعتهِ مرحى فديتكَ حَرِّكْ مِعْزَفَ الطَّربِ

شاهجيهان

يا ناي الأوحدْ، كانت موسيقاكِ تملؤني
وأنا في وسط الميدانْ
حتى إني في الجلَبةِ أحسستُ بأني لستُ أقاتلُ بل أرقصْ
حبُّك همساتٌ تأتيني من أكرا
لكني أشفقت على روحي أن يتصرّم عمري دون لقائك يا حبّي
لكنَّ هواكِ معينُ القلب.. فكنتُ أذاودُ عن وطني وأنا أتنسّم حبّك
حتى طوّحتُ بأعدائي..

(فرحٌ عام بالنّصر، موسيقى راقصةٌ، نشوى بالنصر، ترقصُ الجوقةُ على الطبول والموسيقى الجذلة لانتصار شاهجيهان)

الجوقة

يا أنجم الأفراحِ والنصر الجميلِ تلألأي
فقلوبنا جذلى.. فلا تتململي

المبشرون (يجوبون الطرق)

انتصرَ ابن السلطانِ على الأعداءْ
مصحوباً بالنشوةِ جاءْ
فتهيّأ يا شعبُ لكي تفرحْ
فالليلةُ أُنسٌ وغناءْ

(تظلُّ أصواتهم تتوالى وتشكّل خلفيّةً لكلامِ شاهجيهان مع أرجمند)

أرجمند

لكني أخشى الزّهو عليكَ
أخشى أن يملأ كأسكَ، فيغادرُ لحنكَ قلبي

شاهجيهان

زهوي ليس سوى موسيقى من نايكِ سيّدتي
وغناؤك زهوي وسروري
فأنا المأسور لديكِ.. فاتنتي

(تظهر السلطانة نورجيهان، يظهر في وجهها الحقدُ وعيناها تتوقدان غضباً)

أرجمند

طوّق عنقي يا شاهجيهان
طوِّقهُ بعقدِ الحبِّ الأبدي الخالدْ
واضفر لي من زهرِ هواكَ براعَمَ لا تعرفُ يوماً طعمَ السلوانْ

شاهجيهان

يفديك فؤادٌ يتفطّرُ لأغانيكِ
السارحةُ شياهاً في الحقلِ الأخضرْ

أرجمند

(تدورُ سارحةً حتى تنتحي إحدى الزوايا)

حوّل كل خسارتيَ مغنمْ
هبْ لي الحب براعمَ، وأنعمْ
وإذا مت فاجعلني خالدةً في قلبك
وابنِ لي صرحاً
حينئذ لن أنتحب على موتي أبداً
فأنا أحيا في روحكْ

(تسلّط بقعةُ ضوءٍ عليها وحدها، حيث تظهر السلطانة الحاقدة نورجيهان، وقد جاءتها من خلفها وأمسكتها من أكتافها)

نورجيهان

ها أنتِ تسوقينَ ابن السلطانِ
إلى المخدعِ بخلاخيلكِ يا بنةَ آصف خانْ
والمخدعُ شَرَكٌ محتومْ
تسوقين ولي العهدِ إلى القدِر المشؤومْ

أرجمند

يا عمتي سلطانتي..
لا تحرقي فؤاديَ الصغيرَ بالكلامْ
تعلمينَ أني لا أمارس البغاءْ
كي أخدعَ الأميرْ
لنزوةِ الهوى الحقيرْ
لا يا عمتي يا نورجيهانْ

نورجيهان

فلتخضعي يا طائِشهْ..

لما أقول:

دعي وليَّ العهدِ وحده يُجابهُ المصيرْ

وأنت برعمٌ يسترضعُ الغديرْ

لا تحلمي صغيرتي بالقمرِ المنيرْ

فشهريار زوجُ ابنتي هو الوليُّ في القريب

أرجمند

نظمتُ فيه ملحمهْ

هزجتُ بالألحانِ فيها ما سرت به الرياحْ

فشاهجيهان - عمتي - قلبٌ رقيق ليس عرشاً من صوانْ

هل تطلبين مني حيلةً أو غفلةً لعوبْ

كيما ألفّ حبّه الجميل بالنسيانْ

ذاك مستحيلْ..!!

نورجيهان

(غاضبةً، ترعد) يا عاصيهْ..!!

ها أنت تعلنين اللعب المكشوفَ مع سلطانتك

سأحشدُ الدروبَ بالقطّاعِ كيما يقَطعوا الوتينْ

وأنتبذ ركناً، وأشربُ نخبي فرحتي..

(تنظُرُ إليها هازئة)

تعشين عيني بابتسامةٍ، لكنما تخفين عني أدمعاً حرّى
غداً تسيلُ عند ركبتي مسترسلهْ

(ترتفع بقعة الضوء، يعم النور المسرح، تصاحبه أصوات تنبِّئ بظهور السلطان)

الجوقة

السلطان شرّفنا الحضورْ
مليكنا السامي الوقورْ

(يستقبله أبناؤه شاهجيهان، وشهريار، وبرويز)

السلطان

إني عهدتُ إليك نيابة السلطان
في الدّكن البعيدِ، ولي عهدي شاهجيهانْ

شاهجيهان

لكنني مولاي..

السلطان

أعلمُ أن قلبكَ مولعٌ بالياسمينةِ
أيها البطلُ الهصورْ (**ينظر إلى أرجمند**)
إنّا لنفتكُ بالمغاوير الأشاوسِ في الحروبْ
لكننا متضعضعون أمام فاتنةٍ لعوبْ
فلتسعر النيرانُ في كلِّ القدورْ

(يفرح شاهجيهان، يقبل يد أبيه)

شاهجيهان

الشكرُ يا أبتي

على الفضلُ العميمْ

السلطان

المنّةُ الكبرى لرب خالقٍ برّ كريمْ

(يستدير شاهجيهان ظانّاً بأن أخويه سيهنّئانه، لكنّهما يغادران المكان وقلباهما موغران بالحقد، يختفي السلطان، يُنسيه دخول المنادي ومن بعده أرجمند)

المنادي

وهبَ المليكُ الفضلَ للابن الكبيرُ

مباركاً لزواجهِ من أرجمندْ

فلتوقدوا في الليلِ أنوار السعادةِ في ضواحي

المملكهْ..

ولتختلج أرض السعادةِ بالأهازيجِ الرقيقهْ

(يحتفل شاهجيهان، وأرجمندُ والجوقة بالزّواج)

(نورجيهان تُلقي عملات الذهب على الجوقة، تتغيّر الموسيقى إلى رتم مرعب، الكلُّ يخاف عدا شاهجيهان)

نورجيهان

سقط القناع

ما عدت أكتمُ رغبتي بالانتقامْ

فغداً سيقترنان ثم سينجبان
وأنا أؤجّلُ رغبتي في كلِّ آنْ
لا صبرَ بعد الآنْ

(يدخل آصف خان والد أرجمند وأخو السلطانة نورجيهان)

آصف خان

العُرسُ يزهرُ في القدورْ

نورجيهان

والغلُّ يغلي في الصدورْ

آصف خان

دعيه يا أختاهُ يهنأ بالحياةْ..
إن النفوسَ إذا رأت في الانتقام رواءها
ودواءها.. يغتالُ أعينها السباتْ

نورجيهان

ها أنت كالطبل المجوّف يا أخي
ألأنَّ ابنتك الكريمةَ من ستخطفُ شاهجيهانْ
أنسيت أن حبائل الغدر الخفيَّةِ قد ضفرناها معاً

آصف خان

لا لن أكونَ لك المعينْ
كيما أكيد لزهرةٍ هي من حقولي

نورجيهان

سترى بنفسك أيّها الغدّار من هي نورجيهان..!

آصف خان

إن تمكري، فاژ يمكرُ.. نورجيهان..!! **(يختفي)**

نورجيهان

(ترفع صوتها وهي تنادي الجوقة، وهي ترفع الذهب)

هذا البريقُ هديَّةً **(تستعرُ عيون الجوقةِ وهي تنظرُ للذهب، تُكمل)**

لقطافِ رأسْ **(تنكمش الجوقةُ، تعودُ أدراجها كأنّها تخشى الثمن، تكمل)**

ذهبٌ أصيلٌ، مترفُ الأثمانِ، غالٍ، ينسف الفقر اللّعين

(تعود الجوقة إلى الذهب وعيونها معلّقةٌ فيه، يسيل اللّعاب من أفواهها، ترميه لهم)

فلتغرسوا كلّ الخناجرِ في الدروب، كالشوكِ مشحوذ الأسنّةِ، كالسِّهامْ

(يدخل شاهجيهان)

الجوقة

ذَهَبٌ مقابلَ رأسك شاهجيهان..

أنّى ستذهبُ نحن عصبهْ

شاهجيهان

من يعتلي شمّ الجبالِ فليس تعييه التلالْ

عودوا فكل دمائكم عندي ثمينهْ

الجوقة

لا لن نعود.. فنورجيهان على مشارف التلِّ القريب
تريدُ رأسك..

(تدخل أرجمند وهي تحمل ملابسها مطويّة، تسقط من يدها وقد رأت المنظر، تنزعُ معطفها من على كتفيها، وتمضي وكأنها تهبُ الجوقة بعض عطورها، تدور حولهم ومعطفها في يدها)

أرجمند

مكرٌ وليس يحيق مكرٌ سيّئٌ إلّا بأهلهْ
يا أهل أكرا الطيّبين
يا من تشمُّ قلوبكم عطر الأقاحي والحقول
فتصوغ للقمرِ المنيرِ قصائداً
عودوا فقد أزف المساءُ على المغيبْ
وشقائقُ الأرواح في الأكواخِ يسردن الأقاصيص الجميلةِ
عن بطولات المغولْ
والثلجُ يسقط في الحقولْ
عودوا فعطري هو بعضُ ما تهبُ العواطفُ للرجالْ
آهِ موسيقى تجيءُ من الطبيعةِ..أنصتوا.. **(موسيقى)**
(تتقهر الجوقة، وهي تلوم نفسها)

الجوقة

أرجمندْ
يا زهرةَ الحقلِ الزكيّ

ها نحن قد عدنا إلى أنفاسنا
خلبَ البريق عقولنا.. وتغلّبت شهواتنا
لكننا عدنا إلى أرواحنا
بنسيم عطرك أرجمندْ
امضوا إلى الدّقنِ البعيدِ..
نعمتما حظّاً ببعضكما..
فسيروا في أمانِ اثر
قد أزف المغيبْ

(يخرج شاهجيهان وأرجمند، الجوقةُ مكانها، تدخل نورجيهان)

نورجيهان

(غاضبةً على الجوقة) يا للحرمانِ لمن شاءَ العيشَ فقيراً معوزْ

الجوقة

العطرُ، الموسيقى، سيّدة القصرْ

نورجيهان

وبريقُ الذهبِ الخالصِ

الجوقة

غارَ مع العطرِ الدافئ

نورجيهان

والفقرُ

الجوقة

الفقرُ خواءُ الرّوحْ

نورجيهان

ولّوا عنّي (**الجوقةُ تولّيها الظهر**)

(**يدخل شهريار وبرويز أخوا شاهجيهان**)

شهريار

ما بالك عمّتنا السلطانةُ هائجةَ الأعصابْ؟!

نورجيهان

(**تحرّضهم ضدّ أخيهم**) لم يعدل ما بينكمُ السلطانْ..!! (**بمكر**) ساء فؤادي ظلم الوالدِ لبنيهِ، لو أنصف ماذا كان سينقص من ملكهْ!!

شهريار

شاهجيهانُ يحوزُ نيابةَ عهدِ أبينا.. ويكلّلُ بالتَّاجِ علينا..

برويز

حتى من كانت أمنيتي طوّقها بيديه وغابْ.. كنتُ أحقُّ بها.. كانت زهرةَ روحي

نورجيهان

ماذا بقي لكم.. ماذا تنتظرون؟!

برويز

لن يهنأ شاهجيهانْ بقطافِ العنَبِ.. سأنزعُ محبوبتهُ أو روحهْ

نورجيهان

فافعلها الآن.. فالشدّةُ تمتحنُ الرّجلَ الحازمَ.. أنت الحازمُ يا برويز..

شهريار

بدهائك يا عمّتنا السلطانةُ سنشدُّ العضدَ عليهْ

نورجيهان

هيّا كي نسهرَ يا إخوةَ شاهجيهانَ على تدبير الأمرِ، فلا جفنٌ يغفو لي بعد الآن سوى أن أفلي الرأس المقطوعْ.. هيّا يا طلّاب الحقِّ، انتصروا للظلم ولا ترخوا الحبل فيشنقكم..!

(شاهجيهان وهو نائم، أرجمند تغنّي له)

أرجمند

يا زفيف الرّيحِ لا توقظْ حبيبي
دعه في سرحانهِ يرعى النّجومْ
أيّها الغيمُ الملبّد بالمطرْ
كن رفيقاً، وابتعد نحو التّخومْ
واتئد يا طيرُ لا توقظ حبيبي
وانشدِ التغريد ما بين الغيومْ

(موسيقى كالموج، تتراقص عليها أرجمند، حتى يدخل رسول يحملُ الخبث في طيّاته فقد بعثته نورجيهان، يستيقظ على إثر دخوله شاهجيهان، تظهر الجوقةُ التي كان الظلام يخفيها)

(الجوقة تردّد كلمات تصبح خلفيّة للحوار المقابل):

تـطـلُّ الخـديـعـةُ مـن فـاهـهِ كـأفـعـى تـلـوّت عـلى سرِّهِ

ألا أيـهـا الـعـاشـقـون أفـيـقـوا تـروا مـا شـفَّ عـن مـكـرهِ

الرسول

أرجمندْ.. أباكْ.. أرجمندْ

أرجمند

(تلتفت إلى شاهجيهان مذعورة ولاجئة) أبي يا شهجيهان..

شاهجيهان

ما بالُ أبيها آصف خان

الرسول

مرتجلاً.. يرعدْ.. منتظراً ابنته كي يختتم المشهدْ

أرجمند

(مرتاعةً) يا ويحي..!!

شاهجيهان

سيري يا زهرةَ روحي.. كالريشةِ في سخط الريحْ

(يختفي شاهجيهان، تلتفت أرجمند للجهة الأخرى.. يبدو المشهد وكأنّه في أكرا.. مقر الحكم..يواجهها برويز)

أرجمند

أبي يا برويز مسجّى.. ينزف جرحهْ

برويز

بل جرحي النازف يا معشوقة قلبي مذ صغري..

أرجمند

لا أفقه شيئاً يا برويز

برويز

لأن الحبّ عتيٌّ يغلقُ كل مسامات القلبِ، الدهشةُ سيّدتي عمياءٌ صمّاءْ.

أرجمند

أتخونُ أخاكْ..

(تدخل نورجيهان التي رتّبت الخطّة)

نورجيهان

بل أنت الخائنةُ الكبرى للصبِّ المخدوع.. ذاك الغارق في أحلام الحبّ.. عودي الآن إليه كيما يبصر خائنةَ الأعين أو ما يخفيه الصدر الماكر..

أرجمند

(تتلفت.. يحيط بها برويز.. نورجيهان.. الجندي والرسول، تنظر لهم وهي تدور في غير وعي وهم يقذفونها بالتّهم)

الجندي

كنت تقولين أسرع يا جنديُّ فقلبي مفطورٌ بالحبّ

الرسول

عيناي تقولان.. فلا حاجةَ لي كي أنبسْ..!!

برويز

الحبُّ هو الوَجَلُ حبيبةَ قلبي.. ستفيقين على نغمات العشق الحالمْ

(تسقط أرجمند.. يختفي الشخوص.. يحلُّ محلّهم شاهجيهان.. تظهر تحت أقدامه..وهو رافعٌ سيفه يريد قتلها، ترفعُ رأسها إلى أعلى ببطء)

شاهجيهان

يا للخيانةِ حين تسكبُ سُمَّها في قلبِ مغدورٍ فيحملُ هَمّها
قد عشتِ ما بين الضُّلوعِ دفيئةً لكنّما الأفعى تخونُ بأُمِّها
أأنا الذي يُجزى بطعنةِ كبدهِ حتى يفور - من الخيانةِ- دمُّها

الجوقة

انظر ترى الشمس الوضيئةَ صفحةً بيضاءَ ما شابَ القذى مرآتها
وأنصت إلى الأطيار تسمعُ لحنها سيلٌ من التغريدِ فاض من كلماتها
هي زهرةٌ في الدّغلِ خالطها الندى فتأنّقت تهبُ الشَّذا نسماتُها

شاهجيهان

اسكتوا أيّها الشامتون..!! (**تختفي الجوقة تحت جنحِ الظلام**)

أرجمند

(**ترفعُ رأسها**)

وتعلمُ أنّي تخذتُ هواكَ سراجي وأنّك أضحيت لبَّ المعاني
فإن كنتَ تزهق دمِّي فروحي كعصفورةٍ مازجتها الأغاني
ستهزجُ بالأغنياتِ اللّواتي تموسَقْنَ حتى فتنَّ الغواني

شاهجيهان

بعيداً خذوها.. فلن يلمسَ السيفَ دمُّ الخيانةِ..

(الجوقة تقود أرجمند بعيداً)

الجوقة

ملأت جراركَ بالإثم يا شاهجيهانْ وقدّمت للغادرينْ الثّمنْ

(الجوقة تردّد كلمات بعد أن ينتهي من كل بيت)

عيونك كدّرها الغادرون..

فضاء الوفاء يشع سناءا

أصاب فؤادك سهم الخيانهْ

شاهجيهان

دعوني ألملمُ جرحي دعوني تناثرت حتى فقدتُ عيوني

تسربلتُ بالهمِّ والقلبُ يمضي إلى حتفهِ في فضاءِ الجنونِ

طُعنتُ وقد عشتُ دوماً أبيّا وأيُّ الطّعانِ أصابَ شجوني

(يظهر المغنّي ليتغنّى)

ويحي على القلبِ شقَّ السَّهمُ فلذتهُ أرداهُ في كَنَفِ الأسقامِ والكمدِ

ماذا جنى؟ وحرابُ الغدرِ تنزُفُهُ إلا الوفا لحبيبٍ خِلتُه سَنَدي!!

آهٍ دموعي استقرّي هل لخائنةٍ دمعٌ، وقد جعلتني اليومَ في بَدَدِ؟!

فلتنثر الرّيحُ ما صاغتْ معازفهُ فلم تعد تبعثُ الأنغام في جسدي

(نورجيهان، آصف خان، برويز وشهيار)

آصف خان

كرقطاءَ دبّت بأنيابها
دببتِ إلى الزّهر يا نورجيهان
فسمُّكِ أوهى عروقَ الزهورْ

نورجيهان

(ساخرة)

ولن يغمض الجفنُ حتى أرى شقيَّ المصيرِ تمزَّق غمّا
ويصبح صهري وليّاً مهاباً لعرش أبيه وتقتاتُ همّا

آصف خان

شقيتِ، وهل يحصدُ الغدرُ غير الشقاءْ

نورجيهان

توخّيتُ حتى دفعتُ الخطرْ وأسقيتُ كأسي حقيراً غدرْ

آصف خان

(ينظر لبرويز) وكيف يخونُ شقيقٌ شقيقاً..؟ **(يحاول برويز النطق، يقاطعه آصف خان)**

وكيف سيغفو الفؤادُ الخؤون؟! **(ينظر لشهريار)** وكيف ستعلو لعرشٍ تلطّخَ بالدمِّ.. دمُّ أخيكْ؟!

وما ذنبُ نرجسةٍ نكّست في التراب...! أجيبوا بأي

الحروفِ ستُروى الحكايةَ.. هيّا أجيبوا..

(تظهر الجوقة من تحت جنح الظلام)

الجوقة

همُ العارفون فقد شنقوا الوردَ
واستنزفوا الأسئلهْ
ولم يُبصروا كيف يأتي المصيرُ
وكيف تقامُ لهم مِقصلهْ

شهريار

تهيّبت حتى طفحتُ
فأدركتُ أن السياسةَ ملك امرئ
لا يرى في الحياةِ سواهْ

برويز (يدير ظهره ويتحدّث بمكر)

وهل كنتَ تحسبُ أني أخونُ
ليملأ وجهك كل المرايا..؟!
خسئت وخنت شقيقي الظنون..!!

نورجيهان

(للجوقة وهي ترفع صوتها راعدة)

هنالك في قندهار
أقيموا له مأتماً في النهارْ
ككبشٍ وحيدٍ تحيط الضواري به في القفارْ

دعوه يكابرُ.. ذاك السلاحُ الأخيرُ
قبيل انفثاءِ الغبارْ..!!

(موسيقى تدلُّ على قدوم الجيش، إيقاعات عسكريّة، الجوقة تتهيّأ لقتل شاهجيهان يشكّلون حائلاً أمام آصف خان)

نورجيهان (تظهر بعيداً وهي تسخرُ من أرجمند في سجنها)

عمّا قليلٍ يسدلُ الستار
عن بطلٍ مغوارْ
يقرّر انتحارْ
بسيفه البتارْ
وتلك يا صغيرتي نهايةُ الحكاية
حكايةُ الأمير والأميرة
أميرتي الصغيرة..
فحينما يغصُّ عرقه بالسمِّ ياصغيرتي
تذوين ها هنا فراشة مهيضةَ الجناحْ

(يدخل شاهجيهان)

الجوقة

(تريد الجوقة أن تغرر بشاهجيهان حتى تنال منه)

متسربلاً بالكبرياءْ..
يقودُ جيشه لحتفهِ..
يا أيّها الأميرْ: إن كنت قد طوّحتَ بالأعداءِ في الثغورْ

فلن يردّ ظهركَ المحسورَ طعنة سدّدها رفيقْ..!!

شاهجيهان

لن تنالَ ظهريَ المحسورَ طعنة غادرة، ولن أكونْ
ضحيّةً لخائنٍ يخونْ
مستيقظاً أسيرُ دونما حرّاسْ

(آصف خان، يستطيع اختراق جدار الجوقة الذي كان يقاومه، ويخرج إلى شاهجيهان)

آصف خان

شَرَكٌ يا شاهجيهانْ
وخطّةٌ دنيئةٌ قد أوقعت بابنتي ممتاز محل..!!
مستدرجٌ يا شاهجيهانْ لقندهارْ
لكي تموت قبل أن تسلَّ سيفك البتّار للأعداءْ

شاهجيهان

(ممتلئ بالحسرةِ يتألّم من خيانةِ الخائنين)

أخي وابن عمي وأمْ
.. سمومُ الخيانةِ تجري كدمْ؟!
أنا من حملتُ المحبّةَ همْ
سهرتُ لكي تنعموا في الفراش الوثيرِ
حسرتُ عن الصدرِ وقت الشدائدِ

كي تكتسوا بالحريرِ المنعّمْ.. كم؟
وتسقونني اليومَ سمْ..!!
بلى.. يا ابن أم.. وعمْ
لكمْ يطعنُ المرءُ ممن يحبُّ لَكَم؟!!

آصف خان

وقلبي تمزّق يا شاهجيهان على ابنتي أرجمندْ
ألا فافرشِ الأرض سجّادةً من سماحْ..

(ينظرُ إليه.. ينفضُ عن نفسهِ مشاعر التحسُّر، ينهض، ويعلو صوته منادياً أرجمند وهو يجري هنا وهناك كالتائه)

أرجمند.. حبيبةُ روحي..
شقيقةُ قلبي.. سُقيتُ الخيانةَ كأساً.. تعالي ليبرأ قلبي
تعالي ليحتقر الخائنون ملامحهم في المرايا.. تعالي أخلّد حبّك في كلِّ شيء..

(تنفرج الجوقة عن أرجمند وهي باسمةٌ، يصدمه فجأة منظرها في جلال هيبتها، وبساطة عفويتها)

آصف خان

وقد كنت أسأل قلبيَ منذ هنيهةْ
عن العطر من أينَ يأتي، عن النسمةِ الباردةْ

شاهجيهان

كأحلى الورود التي شربت من معين الصفاءِ

تجيء كعادتها كلَّ صبحٍ.. كأغلى الأماني
ألا فاغفري.. قد شربت كؤوس الخيانةِ حتى الثمالةْ

أرجمند

كيف ترى غضباً منك يؤذي الخلايا
إذا كان حبّك يملأُ كلّ الحنايا..
حبيباً ستحيا
وحقلاً مريعاً من الأغنيات..

الجوقة (ترقص)

يا نسمة الفجرِ النديّةِ
يا خيوط الشمس مع بدءِ الشروقِ
ويا شذى الوردِ الأنيقْ
توّجوها أرجمندْ.. توِّجوها أختكم فهي التي غنّت
لآفاقِ الجمال..

شاهجيهان

(غاضباً)

واثِ إن جحافلاً ستزلزل العرش الذي مكّنتهُ لأبي
إذا كان الأبُ الملك الذي نشدو له قسم الولاءِ
يطيع امرأةً خؤونْ

رسول

(يدخل) يا سيدي يا أيّها الأمير..

يقول سيدي الملكْ:
أثابك الغفرانَ بعد أن كسرتَ أمره
جاهرت بالعصيانْ

شاهجيهان

أأنا الذي جاهرتُ بالعصيان؟

رسول

فأرسل له ابنيك سيدي

شاهجيهان

أرسل له ابنيَّ كيما يصبحا رهينتين..؟!
(يتحسّرُ وكأنّه يناجي أباه)
أبي.. وأنت - آهٍ - مرتجاي
حينما يخونُ بي العدا..
ألصقتني بالغدرِ، هل يصحُّ يا أبي؟!
(يخاطب الرسول)
قل له يا أيها الرَّسول..

أرجمند

(مقاطعة ومكملة)
أن شاهجيهان ابنكَ المطيعْ
سيرسل الابنين
يحويهما معطفك الدفيءْ

كما حوى أباهما.. يا ظلَّنا الحدِبْ

شاهجيهان

أرجمند...!

أرجمند

(صادفةً عنه، ناظرة إلى الرسول)

وقل له بأن شاهجيهان فاتحُ الثغورِ

هازمُ العدا في غلظةِ الوغى
يأتيكَ راكعاً وجيشهُ وراءهُ مردّداً أنشودة القسمْ

شاهجيهان

لكنّه مخطّط الغدّارةِ اللّعوبْ
تلك التي تناسلت من كيدها الخطوبْ!!

أرجمند

(صادفةً عنه، ناظرة إلى الرسول)

أيّها الرسولُ انطلق كالسّهم في الهيجاءِ
لا يلوي لدمدماتِ الريحِ في الدروبْ

(ينطلق الرّسول)

(موسيقى ترقُّب، نذير، تحمل في نغماته المتبدّلة خبر شؤم، الجوقة تطالع، تسترق السمع، حائرة، طبول نذير.. همهمات غير مفهومة في البدء.. تبدأ بعبارة "مات الملك" ولكن بصورة غير واضحة، إنّما تبدأ في الوضوح درجةً فدرجة)

الجوقة

مات الملك.. مات الملكْ

(شاهجيهان وأرجمند مذهولان، يخترق آصف خان الجوقة وهو يحملُ النبأ)

آصف خان

يحيا الملك..

الجوقة

يحيا الملك.. يحيا الملك

شاهجيهان

إنِّي لأسمع قعقعات الريّح في السُّهوبْ
قل يا صهري العزيز: أعرشنا الجليلُ
ضمّهُ الغروبْ؟!!

آصف خان

(وهو يبدي طقوس الطاعة والولاء)

بل أشرق الهلالُ مؤذناً
بعهدكَ الوضيءُ سيّدي..

أرجمند

(وهي تبدي الطاعة كأبيها)

سيّدي وتاجُ رأسي أيّها الملك
أصوغُ من نفائس الكلام لكْ

أغنيةً عطّرتها بحبّنا السنيّ
سيّدي.. يا أيّها الملكْ

الجوقة

(تُفردُ طريقاً ليمضي الملك للجلوس إلى عرشهِ)
سطعت على الأرضِ الفسيحةِ
هالةُ الأنوارِ منك فأينعتْ
أغصانها دراً تضيءُ بحُلمك الزاهي الكريمْ

شاهجيهان

فليدخلِ الإيوانَ من ضاقت به سبلُ الحياةِ
فلم يجدِ في الأرضِ مرغمه القمينْ

أرجمند

يا سيّدي ماذا تقولُ بمن أدار لها الزمنْ
ظهرَ المحنْ
كانت توسّد رأسها حقلَ اللآلئ
تعتلي عرشَ المدائنِ
فجأةً.. أضحت كـ "قُبَّرةٍ" يتيمهْ
مسلوبة التغريدِ.. لا شجوٌ يسلسلُ لا شجنْ!!

شاهجيهان

نُعلي منازلها، نُعيد لصوتها اللّحنَ
المموسقَ بالغناءْ

ونصونُ عزّتها السليبهْ

أرجمند

فلتدخلي يا من عفا السلطانُ عنها..

(تدخل نورجيهان، الجميع يذهلون إلّا أرجمند)

شاهجيهان

(منبهراً، غاضباً)

عينُ الشرورْ..!! ألها قوائم كي تجيءْ

ألها عيونٌ كي تراكِ وكي تراني؟!

ألها ضميرٌ يسكبُ الإحساس من نبعِ الفظاظةِ والخيانة؟!

أرجمند

أصدرتَ عفوكَ أيّها الملك الحليمْ..

والعفو من شِيَمِ العظيمْ

شاهجيهان

(منبهرٌ بأرجمند لسعة صدرها وحلمها)

أيُّ الطوايا تملكينْ؟!

الجوقة

(تُكمل البيت)

يا زهوةَ العرشِ المكينْ

هل أنتِ في ظهرِ الدُّنا أُنشودةً للتائبينْ

شاهجيهان

أم أنـتِ مـرسـلـةُ الـصّـفـاءِ إلى قـلـوبِ الخـائـنـيـنْ

أرجمند

يا سيّدي.. مَلكَ الفؤادْ:
انظر إلى الشمس الوضيئةِ
ليس تدميها عيون الغادرينْ
هي هالةٌ من كبرياءْ
تعمُّ كلَّ العالمينْ..

(ينطفئ المشهد، يعود المشهد الأول، شاهجيهان في سجنه، يظهر وراءه تاج محل، يُكمل قصيدته في أرجمند)

وكـأنّهـا نـسـمٌ تهـادى بـين أحـضـانِ لـظـاهـا
يـا لهـا الأسـطـورةُ الحـسـنـاءُ لم يـنـضـب رواهـا
أنـا في الـشّـوقِ سـجـينٌ وهـي تـلـهـو في رؤاهـا
تمنـحُ الـعـفـوَ، وتُـزجـي حـلـمـهـا مـن قـد أذاهـا
فـاذكـروني ذات يـومٍ أذكـروا صـبّـاً هـواهـا
هـائمٌ في الـوجـدِ لا يرجو من الوجدِ سواها

تنتهي المسرحيّة

صفحة بيضاء
رقم ١٥٨

مسرحية

وطن

نص شعري / موسيقي / تعبيري

صفحة بيضاء
رقم ١٦٠

الشخصيات:

- **الشاعر**
- **الرجل الأرعن**
- **الفتاة**
- **فتاة**
- **العربيد**
- **المجموعة**

صفحة بيضاء
رقم ١٦٢

الفكرة

النَّصُ فضاءٌ مركَّبُ الأجزاءِ، متداخل العناصر، لا شكلَ للوطنِ فيه. كان الوطنُ قصيدةَ شعرٍ، أو خاطرة.. كان الوطنُ مرتعاً للصبا، حتى إن كبرَ الشّاعرُ تناءى عنه الوطنُ، وتفلّت من يديه كمهرةٍ مشاكسةٍ فضّلت أن تعيشَ في السهوبِ والبراري حرّةً طليقة.. تلك كانت روح الشاعر الذي أراد أن يستحضر الوطن حين كبر، ففجعه أن الوطنَ بنيةٌ تخيُّليَّةٌ، لا تعيش إلّا في بواكير دفاترِهِ الأولى، والأناشيدِ القديمةِ التي يرتّلها وهو ذاهبٌ إلى المدرسةِ حينما كان صغيراً..

اصطدم الشاعرُ بالواقع.. بحث عن الوطنِ في كلِّ الزوايا المكتظَّةِ بالناس المنشغلين بمصالحهم الحياتية الضيِّقة، أولئك الذين لا يرفعون رؤوسهم حين يسألهم عن الوطن.. منشغلون بأنفسهم، بغاياتهم الأنانيّة، بأهدافهم الخاصة.. لا يعرفون نورسةً أو مهرةً أو تلّةً أو نسيماً.. غارقون في تفاصيل الحياةِ اليوميةِ الماديَّة.. وتضيعُ محاولته إقحامهم في الذاكرةِ البعيدةِ، ذاكرةِ الصبا، والبراءةِ والسذاجةِ، والخطا الأولى، والكلماتِ الصادقةِ، والمشاعرِ الشفيفةِ..

يبدأ الشاعرُ في التراجعِ أمام هذه الصورةِ الفاجعةِ، التي صدمت

عقله.. يبدأ الاستسلام، محبطاً يعود، هائماً يعود.. لكنّ فكرةً تبزغ في عقلهِ، تتملكُ وجدانه.. ينجذبُ لها.. فكرةَ صياغةَ وطنٍ له.. وطنٍ يتمثّل في المحبوبةِ.. يرى فيه المهرة التي فرّت من يديهِ شاردةً في البراري.. تعتقه هذه الفكرةُ من الفكرةِ الأولى.. لكنّه يصدمُ مرّةً أخرى وهو يكتشفُ خيانة محبوبته التي تنتمي إلى الواقع.. يظلُّ مشرعاً سؤالهُ عن المهرةِ التي فرّت من يديه.. باحثاً عن شيءٍ اسمهُ الوطن.. ففكّر أن يجعل القصيدة وحدها هي الوطن.. وتساءل في النهايةِ هل تخونه القصيدة..؟!

المشهد الأوّل

الشاعرُ يتغنَّى هائماً للوطن..ومجموعةٌ ذات ملابس تسترُ وجوهها بمختلف الألوان وكأنّها أفواف الزّهر، تتمايلُ معه..

قمرٌ، وتلَّةُ عاشقٍ، وسُفوحُ وصِباً يضجُّ بعطرهِ ويفوحُ
والأغنياتُ معازفٌ مبثوثةٌ شطحت عليها نزوةٌ وجموحُ
كم سلسلت تلك التّلاعُ ورنّمت وطناً بسرِّ العاشقين يبوحُ
أيّامَ ننهلُ من صفاوةِ وجدنا ألقاً، فيكبرُ برعمٌ وطموحُ
تحنو علينا الباسقاتُ نخيلنا ونامُ، تغمرنا الحنانَ سفوحُ
وطنٌ على شرفِ المواسمِ مورقٌ قلبٌ له، وخواطرٌ وجروحُ
كلُّ المرابع موطن ودروبها يسري بها زهوٌ، وتنضحُ روحُ

"**تتساقطُ القصائد**.."

وطنٌ يشبُّ ولا يشيخُ ونسغُهُ ريّان يُنضِحُهُ الصبابةَ شِيحُ
بلّل فؤادكَ أيها الوطنُ الذي غزلاً يجيءُ بلحنِهِ ويروحُ

أصوات موسيقى تتعالى، يتخللّها عواءُ ذئاب.. يظهرُ رجلٌ أرعن بوجهٍ عابسٍ مكفهرٍّ حقود.. يُلقى من طريقه كلّ فردٍ من المجموعة وكأنّه يقطف الزّهر ويلقيه..

الشاعرُ

من أنتَ يا وجهَ الضَّياعْ..

لا لست من هذي الضِياعْ..

الرجل الأرعن

دنّست أرضي أيّها الرجلُ الصفيق..

ونشرت أحرفك المهلهلةَ البليده..

يا عاشقاً لون البياض..!!

الشاعر

أنظر إلى الزهرِ الذي خلّفته جرحاً يئنْ

وقد توارى خلفَ هيئتهِ الجميلهْ

المجموعة

مسترسلٌ في دمعهِ.. يبكي الخميلهْ

الشاعر

يا أيّها الرجلُ الذي كان القريب..

كنّا نصوغ حكايةَ الوطنِ الجميلِ

ذاك الذي يهبُ المدائنَ من عطاياهُ الجليلهْ

الرجل الأرعن

كنّا.. وكنّا..

إنّما يا شاعري الدنيا تدورْ

المجموعة

لكنّما يبقى الشعورْ..

الرجل الأرعن

مات الشعورْ..

أو تبقى أنت حبيس أغنية الشّعور..؟!

يا صاحبي تلك القشور..!

الشاعر

لكنَّ لي ذكرى تبخرها القصائد كلَّ يومْ

ومنازلاً، ومرابعاً، ومدائناً، وسواقياً

تزهو طراوتها.. فأمنحها التذكرَ والحضورْ

الرجلُ الأرعن

الأرضُ مهرتك الجميلة أطلقت للريحِ أجنحةً

وما عادتْ تُرى بين الحقولْ

الشاعر

اصمت..

الرجلُ الأرعن

وددتُ الصّمت لو أشفى الغليلْ

لكنّك الإنسانُ يا هذا العليلْ

ما عادتِ الأشياءُ - منذ فرّت مهيرتك الجميلةْ -

كالتي كانت وما عاد الطريقُ هو الطريق..

المجموعة

أتكلَّست كلُّ المشاعرِ أيّها الرجلُ الحكيم..؟

الرجلُ الأرعن

حتى الملامحُ، والتفاصيلُ الصغيرهْ

ذابت.. وجفّت في مخايلها الفقيرهْ..!

الشاعر

لا تسمعوه..!

المجموعة

(**مستفسرة**) حتى الزنابقُ والغضا والشيح..

الرجل الأرعن

حتى الياسمين..

الشاعر

لا تتبعوه..دعوه ينهشُ بعضه!

المجموعة

(تخلع المجموعة لُحف رؤوسها.. إشارةً إلى انحيازها إلى الرجل الأرعن)

سطع الضياءْ.. فاحلم بمهرتك الجميلةِ في مخايلها الفسيحهْ

بلّل حروفك بالعرقْ، فالغيمُ ليس سوى الحُرق، تهوي إذا جنَّ الغسقْ

الشاعر

بل إنّ مهرتنا الجميلةَ ههنا حتماً تعودْ
يوماً وإن ضلّت طريق مجيئها
حتماً سيهديها الشروقْ.

الرجل الأرعن

لا تسمعوه..

الشاعر

كل العقول تقول ذلك والمشاعر والمواسم والظلالْ

الرجل الأرعن

لا تتبعوه.. دعوه ينهش بعضه!

المجموعة

(تطردُ الشاعر، تدفعه من مكانٍ لآخر)

غنِّ لكلِّ زنابقِ الأرضِ البوارْ
واصدح بشعرك.. في مقاهي الانتظارْ
يا شاعراً عهدَ القفارْ
وارو الحكايةَ لو تعارْ
أذناً.. ولكن الصدى من يسمعكْ

ينتهي المشهد الأول

المشهد الثاني

(يطلُّ الشاعرُ على النّاس، كلٌّ مشتغلٌ بنفسهِ أو بغيرهِ ولكن بوجوهٍ صارمةٍ، يتفاوضون بحزمٍ دون أن يرقَّ لهم شعور، أو يخفق بهم خافق)..

الشاعر

(محاولاً استفزازهم بالذكرى الجميلة علّه يحوز على انتباههم، يمرُّ عليهم واحداً تلو الآخر لكنّهم يتصرفون وكأنّهم لا يرونه أو أنّهم يطردون حشرة عنهم)

يا سادتي.. يا سيِّداتْ.. هل تذكرون جميعكم أو بعضكم حلماً جميلاً

ذات أيامٍ سحيقه..

أيامَ كنّا في الصّبا سيّان.. نحفر في الرّمال صروحنا لكنّ موج البحرِ يأتي

ثم يسرقها إلى الجزر الغريقه..

هل تذكرونَ صخورنا الأولى، ومطمحنا الوحيدْ

-ذاك المخلّدُ في الصخور - أن نصنعَ الدرب العنيدْ

الأرضُ مهرتنا الجميلة يا صحابْ.. هل من رآها تعبرُ

الدربَ المجرّحَ بالحنينْ
هـل مـن رآهـا فـي مـراسـي الـذاكـريـاتْ.. أو فـي سـفـوحِ الغابرينْ؟!

(يجرُّ الشاعرُ أقدامه مكسور الفؤادِ إذ لا يجيبه أحد، وقبل أن يخرج، يدخلُ عربيد..)

العربيد

يا أيّها المغمورُ في طميِ السنينْ
بالغتَ في طلبِ المنالِ.. فعشت في وهمِ السّديمْ

الشاعر

دعني وشأني أيّها المجنونْ.. أنشدُ مهرتي فوق الأديمْ

عربيد

هل تدري أنّك مبتلى بأشدِّعني أيها الرجل الحميمْ

الشاعر

أو تدري أنت السرَّ يا هذا تكلّم..

عربيد

انظرْ **(ينظر لفتاة من بين المجموعة)**
لو كنتُ أعرفُ كيف أغوي الغانياتِ
لكان لي ملءُ الزوايا صاحباتْ
وطويتُ كل مواسم البدءِ البعيدةِ
كلّ أقمار المواعيدِ السنيَّةِ والتلاعِ

وكلّ رمل الذكرياتْ

واتخذتُ من قلبِ الحبيبةِ موطناً

بدّلته عن تلّةٍ وسّدتها قلباً يحنّ إلى النجومْ..

الشاعر

لا.. إنّي الشفيفُ، ولدتُ فوق أديم مهرتي الجميلهْ

وهرقتُ نسغَ محبتي فوق الصخورْ

أفأستبيحُ هوىً ترعرع في دهور؟!

اذهب ودعني في هوايَ مهيّماً

.....

(يتجمّع الأفراد، ويشكلون مجموعةٌ تحيطُ بالشاعرِ)..

المجموعة

أفقْ أيها الشاعرُ..

تعودّت أن تحضن الأغنياتْ..

وتلقي قصائدك الداميات.. لريحِ الشتاتْ

وحيداً.. وحيداً تسيرُ بلا قافلهْ

وفي قبضتيك قصائدَ ممجوجةٌ بالحنينِ

ولا شيءَ آخر..

الشاعرُ..

لكنّه وطني أيّها الحاضرون..!!

المجموعة

وهذا البلاءُ المبينُ..!!

الشاعرُ

بلاءً.. بلاءً..؟! ألا تعرفون البلاءَ المبين..

المجموعة

إذا قُيِّد العشقُ في سرّة الأرضِ.. هذا البلاءْ..!

إذا ما تتبعتَ نبضك من آخر العِرقِ حتى الجذور.. فهذا البلاءْ..!

إذا ما نزعت شعاع الحنينِ، وشوق المرابعِ.. هذا بلاءْ..!

إذا ما اقتلعت التّذكرَ - آفةُ العاشقين - فهذا البلاءْ..!

(تصيبُ الشاعرَ موجةٌ من الغضبِ، والهياجِ فيخترق المجموعةَ في حركاتٍ متوِّجةٍ، تتهيّبُ منه المجموعةُ، تخافُ، تندهش، تُذهل)

يحيِّرني أنَّ الوفاءَ كمالُ ... وأنَّ جوادَ الأكرمينَ جلالُ

فكيف بكم إن كان في الأمرِ مأربٌ ... وكان به مما يُطال منالُ

قضيتم بأطماع النفوسِ وحزتُم ... به الفضلَ، والفضلُ العميمُ محالُ

همومي زنابيرٌ تحومُ كمثلكم ... فليس لنا فيما يثارُ سجالُ

أنا من يفيقُ اليوم؟ يا ويحَ ناقدٍ ... تناءى شعوراً، فاعتراهُ خَبالُ

سلامٌ على تلك المقاصيرِ سلسلت ... قصيداً على نوقِ الرحيلِ يقالُ

(يخرج الشاعر محبطاً، في ذهول الجميعْ.. تقف الفتاةُ قبالته)

الفتاة

وهبتكَ نفسي وطنْ
لأقصى الأماكنِ، أقصى الهمومِ.. وطنْ
تسربلْ بحبِّي
وجاهرْ بعشقي..
أنا المهرةُ اليومَ يا أيّها الشاعرُ..
هو الحبُّ يا سيّدي
قد يكونُ الوطنْ..
فدع عنك شجواً لربعٍ، وتلٍّ، ونخلٍ وزيتونةٍ وقمرْ
فهذا أنا وطنٌ هائمٌ في سفرْ

(تتغيَّر الموسيقى، تصبحُ راقصةً، تتغيَّر قسماتُ الشاعر، يستملحُ الفكرةَ، ويقبلها، ينسجم مع الوطنِ الجديد: محبوبته)

الشاعر

تعالي سيِّدةَ الأنغام وطناً تسكنهُ الأحلامْ
تعالي فالسَّرحُ يناديـنا والزهرُ ينادي والأنسامْ

الفتاة

ها أنذا يا نبضي الأحلى كنشيدٍ غجري الأنغامْ
أتناغمُ مع حبِّك يحويني بالدفءِ صريرُ الأقلامْ

(موسيقى.. موسيقى.. رقصٌ حالم، تختلطُ أصواتٌ، وضجيجٌ بالموسيقى..)

أصوات خارجيَّة

ظهر الرجلُ الأرعنُ ثانيةً.. سيكفُّ الناي عن التغريدْ..

ظهر الرجلُ الأرعنُ ثانيةً.. يصطحبُ الرجلَ العربيدْ..

الرجلُ الأرعنِ

يا للمسكينِ أما زلتَ تناجي وطناً

ينأى في البعدِ، يغلّف شرفتهُ السلوان..؟!

الشاعر

تعلّمت بأن الوطنَ صنيعُ الفكرةِ

فاخترتُ حبيبهْ

كي نعبرَ كلَّ الشطآنْ

تصبح كل الدنيا مع فاتنتي أوطانْ

الرجلُ الأرعن

يا للمسكينْ.. أغراك العشقُ

وتعبت أقدامكْ.. فنكصت لقلبِ الإنسانْ

الشاعر

المرأةُ يا هذا مخلوقٌ طاهرْ

والشّدو بها شجوٌ عاطرْ

سنشدُّ الرحلَ لأقصى الحلمِ

نجوبُ الآفاقَ، وننثرُ صلواتِ العشق لكلِّ العشّاقْ

ونردّد بالرّجعِ الموقعِ كلّ الأشواقْ

الرجلُ الأرعن

ها أنت أحلت المرأةَ مهرتك الأخرى
فرّت ثانيةً من بين يديك..

(ينظرُ الشاعر إلى المرأة فيراها والمجموعةُ تحيطُ بها وهي سعيدةٌ بينهم، تضحك وتمزحُ معهم)

الشاعر

تعالي نحلِّق يا موطني
فأنتِ وهبت ليَ الأغنياتْ
وأنت وهبتِ لي الحبَّ
كيما يكونُ لي الذكرياتْ
فلا تغدري إن جرحي طريٌّ
رأى في عيونكِ بعض الهباتْ

الفتاة

هنا عالمي الآدمي القمينُ بأنسي.. ولك عالمكْ
فإني سمعتك تنوي عبورَ الفضاءَ
وتوسدُ رأسكَ حجر النجومِ
فلستُ معكْ
عرفتُ حدودي
وأنت بإلهامك الحر تحيا ملكْ

الرجل الأرعن

تيقَّنتَ أنّك ضيعت موطنك المستحيلْ

وأنّك غير قمينٍ بكوكبنا الآدمي الجميلْ
وأنك في نظري الخاسرُ الأكبرُ..

الشاعر

تعالي فتاتي فإني رزئتُ
بأرضٍ أقمتُ لها في الفؤادِ الصروحْ
ولكنها أُلجمتْ يا فتاتي
فأصغيتُ لكنها لم تعد بالحنينِ تبوحْ
تعالي كما قلت أنتِ الوطن

المجموعة

ابحث عن وطنٍ آخرَ يا شاعرْ
ابحث عن وطنٍ سافرْ

الفتاة

ما عدتُ أنا أو أرضك موطن
ابحث عن مسكنْ.. أو حتى كوكبْ

(تنتابه حالةٌ من الإحباط والاستهجان..)

الشاعر

العبارات بحلقي كدماميلِ الحقيقه هل أحوزُ الصمتَ زاداً وطريقهْ
من ترى يسمعني أو يتبعني أو يسلِّيني عن الذكرى الغريقهْ
تائهٌ عن مطلبي أم أنّ ما بي حيرةٌ من بعضِ أوهامٍ صفيقهْ

مـوطـنٌ كـنـت أسـاقـيه كـؤوسي فمـضى مـع مـهـرةٍ فـرّت طـليقـهْ

(يريدُ الخروج.. تعترضهُ فتاة)

فتاة

أيها الشاعرُ ما غيري وطنْ

يدفعُ البلوى، ويجتازْ المحنْ

المجموعة

(**مندهشون**) من تراها هذه البنتُ اللّعوبْ..؟!

الفتاة

(**ساخرة**) ربّما غرّرها الوهم فصارت شهرزاد..!

فتاة

إنني أُدعى القصيدهْ

هل سمعتم عن قصيدهْ

قد أكونُ الظلَّ، والنخلةَ، والسرَّ الدفينْ

الشاعر

لستُ أدري بعد أن غالت

نصالُ الغادرينْ

لي سؤالٌ قبل أن تأتي معي

قبل أن يغشى على القلبِ السكونْ

قبل أن ينتابني المسُّ ويشقيني الجنونْ
لست أدرى هل ترى الشعرُ يخون..؟!
فلتجيبي كي أكونْ
أو لا أكونْ..!

تنتهي المسرحيَّة

صفحة بيضاء
رقم ١٨٠

مسرحيَّة

عذابات سرمديَّة

قراءة أُخرى لعذابات مجنون ليلى

صفحة بيضاء
رقم ١٨٢

هذه المسرحيّة..

المسرحيَّةُ تسعى إلى إعادةِ قراءةٍ لجنونِ قيس، بتوظيفِ قصّةِ استتار الفضل بن الرّبيع عن المأمون، ذكرها القاضي التنوخي في كتاب (الفرج بعد الشدّة) وتأتي هذه التوليفة لخدمةِ غرضٍ فنيٍّ وليس تاريخياً؛ لتصوير عذابات الفنّانِ النّفسيّة ومعاناته، وبحثهِ اللانهائي عن محبوبةٍ لا ملامح لها، واقعاً في مفارقاتٍ لازمةٍ فنيّاً، وعذاباتٍ عذبةٍ إبداعيّاً..!! المسرحيَّةُ إذن تطرحُ احتراق الفنّان السّرمدي، ولذّة الاحتراقِ، لتنقُل الأزمةَ (القيسيَّةَ) من خصوصيّتها إلى عموميّة التّجربةِ، عبر إعادةِ قراءةِ أحداثها، وصياغةِ حبكةٍ أُخرى قد تكونُ مناقضةً لسيرورة الحدثِ التاريخي المُنجز للقصَّة إلّا أنّها مبرَّرةٌ من الناحيةِ الفنيَّة.

ملاحظة: كلُّ الأشعار التي يحتويها النص هي من تأليف مؤلفِ هذا النص وليست من أشعار قيس بن الملوّح.

صفحة بيضاء
رقم ١٨٤

بدءُ المسرحيَّة

(قيس وهو هائمٌ في قفرٍ من القفار، يُنشِئ قصيدةً مع الجوقةِ التي يبدو أنّ أنساً يجمعهُ بها، وهي تبدو متناغمةً معه)

قيس

تكلّفتَ يا قلبي فراقَ أحبّةٍ

الجوقة

لهم في سويداء السَّريرةِ مسكنُ

قيس

عهدتَ هواهم نسمةً علويّةً

الجوقة

جَلَت عن ضلوعي ما استقرّ من الونى

قيس

فصبراً، لقد لجّ البُعادُ ولا ترى.. **(محاولاً التّكملةَ، مردّداً.. ولا ترى)**

الجوقة

وصالاً قريباً، أو رسولاً مطمئنا..

قيس

(**غاضباً**) لا يصحُّ ردفاً للبيت.. لا يصحُّ، يبدو أنّكم لا تعرفون ما أريد..!

الجوقة

أوَلستَ تريدُ وصل ليلى..؟

قيس

(**بحرقة**) آهِ **ليلى**..!!.. (**بعد هنيهةٍ صمت، ثم بحسرة**) سُلبتِ صباباتٍ، وأضحيتِ مغنماً.. تنافس فيه الواردون على الخنا..!!

(**إضاءة قويّة على المسرح، صوتُ سعد والد ليلى يزلزلُ المكان، الجوقة تتحوّلُ إلى حجرٍ صلد..**)

سعد

تمادى الرّجل، حتى لم يعد يعي ما يقول.. وهو في الحقيقةِ يلغط في شرفنا وعرضنا..

أخو ليلى

واثِ لنشكونّه للخليفةِ حتى يرى فيه رأيه.. فحين يلغو في شرفِ ليلى، فهو يلغو في شرف الجميع..!!

(**إضاءة على ليلى، وقيس**)

ليلى

ها أنت الآن طريدٌ، مهدور الدّم..

قيس

هذا قدري فيكِ، وأنا راضٍ به..!!

ليلى

أفلم أحذّرك مرّاتٍ، ومرّاتٍ من عاقبةِ هذا الشطط في الهوى..؟!

قيس

(**يُنشد**) أتوبُ..! وهل أذنبتُ فيكِ حبيبتي.. إذا قلتُ إني في الغرامِ طريحُ..؟!

ليلى

تاڑ، لن يجورَ الدّهرُ عليكَ إلّا وأنا معك في كلِّ حال.. سأرحلُ معك، لقد غبتُ عن أعينِ الجنود، وغافلتُ عسس القبيلةِ.. وجئتك كي لا يكونَ الودُّ بيننا مجرّد أمانيَّ نفس..

قيس

ومن قال لك إنّي سأرتاحُ وأنت بقربي..؟!

ليلى

(**مندهشة**) قيس..! أكانَ حبّك تسليةً للفؤادِ، وغراماً زائفاً تطعمهُ القوافي..؟!

قيس

بل حرقة جوىً أشعلَتْها لجاجةُ عشق، إنّما وجودك جنبي يقضي عليَّ..يفنيني، ولن أكون حينها قميناً بك، ولا جديراً

بحبّك، بل عاشقاً زائفاً يردّد قولاً خالياً ليس فيه من الوجدِ والحرقة؛ وهما لعمري لذّةُ الهوى..!

(صوت سعد والد ليلى يتعالى، مع موسيقى وعيد..)

سعد

واثٍ إن رأيتهما معاً ليكون قضاؤهما بيدي، لن أغفر لها وله هذه الخطيئة..

ليلى

كيف لك، وأنت المدلّهُ بي أن ترفضني.. وقد غامرتُ أيّما مغامرة، وأنا على يقينٍ بأنّك ستغصُّ فرحاً بي..!

قيس

هذا هو القدر..! هذي هي العذابات..

ليلى

لا أفهمك..

قيس

والأحلى ألّا تفهميني..!! ارحلي عني عائدةً، ودعيني أعيش طريداً.. لا أهتمُّ إلّا بأن يبقى لساني لاهجاً بذكرك.. أمّا غير ذلك فلا يهم عندي.. وداعاً..

ليلى

بل إلى لقاء..

قيس

لا أظنُّ، ولا أرجوها من أمنية..

ليلى

لا أفهمك..

قيس

والأجمل ألّا تفهميني..! وداعاً.. (**يغادر، تدخل جارية من جواري الحي**).

الجوقة

تغنِّي:

لقد تُيِّمَ المجنونُ بالعشقِ فاكتوى.. وما كان قيسٌ قبل حبّكِ هائما

فهل كان قيس يرتجي منكِ وصلة.. أم العشق أن يبقى طريداً متيّما..

الجارية

أبوكِ يا ليلى وإخوتك وجمعٌ من قومكِ يأتمرون بكما ليقتلوكما..!!

ليلى

لقد رحل يا جهينة دوني..!

الجارية

تنصّلي منه..! ربّما أراد لك النجاةَ من عاقبةٍ يعلمها..

ليلى

يا لنقائهِ السماوي الشفيف..!

الجارية

بل يا لشقائه الأبدي المذلِّ..! **إظلام**

(إضاءة في مكانٍ آخر، أعلى قليلاً.. الخليفة وسعد وأخٌ لليلى)

سعد

لقد شهّر بعرضنا يا مولانا الخليفة المأمون..

الخليفة

أسمعني بعضاً مما قال..

سعد

يكفي أن أسمعك بيتاً يا مولانا، قال فيه:

سُلبتِ صباباتٍ، وأضحيتِ مغنماً..

تنافس فيه الواردون على الخنا..!!

الخليفة

(**مستشيطاً**) ويحٌ لهذا الدّعي..! ما الذي يقصده بهذا البيت، من الذي سلبها صباباتها، وجعلها فريسة يتصارع عليها الواردون على الخنا..!!

سعد

أرحنا من شرّ لسانه يا مولانا الخليفة.. فقد جلبَ لي وللقبيلةِ العار..!

الخليفة

بعدما أسمعتني من بيت فلم تعد القضيّة قضيّة عار قبيلة، وإنما خطرٌ يتهدّد دولة الخلافة..!!

سعد

(**مدهوشاً، لا يكاد يفهم**) ماذا تقصدُ يا مولانا؟

الخليفة

أقصدُ أن ليلى ابنتك إنّما هي عنده ستار يتستّرُ به، وكنيةٌ يكنِّي بها، في حين أنّ قصدهُ أبعدُ من ذلكَ.. هذا الرّجلُ خطرٌ علينا.. نادوا في النّاس أن من جاء به فله عشرة آلافِ درهمٍ وإقطاعُ غِلَّتهُ ثلاثة آلاف دينار في السنة، وأن من وجدً عنده بعد النداء ضرب خمس مئة سوط وهدمت داره وأخذ ماله وحبس طوال الدهر ..(**إظلام**)

(**إضاءة على الجوقةِ مع قيس**)

الجوقة

ضاق الخناقْ..
فأعلن متابكَ من هواها يا متيَّمْ
وادع الإله تشافياً مما ابتلاكْ..
الصمتُ أسلمْ

قيس

تمادى الغرامُ وأيُّ الشجونْدواء لقلبٍ غشاهُ الجنونْ
جنون تبدّى لأن الهوى مليكٌ فصاغَ الجنونَ فنونْ

(**صوت ليلى يأتيه من بعيد، أو يظهر طيفها كخيالِ ظل**)

بعيداً تناءَ.. حبيبَ الفؤادْ لقد كثر المدحُ والمادحونْ

الجوقة

توخّى الوجوهَ التي تبتسمْ فليست حياتك غير الظنونْ

(يخرج، هارباً، الجوقة تتحوّل إلى أحجار، يدخل ثلاثةٌ من الجنود)

جندي١

لن يكون في مقدورهِ أن يقطع المسافات الطويلة، سيظمأ.. وسنلقاهُ مغشيّاً عليه إن لم يكن ميتاً..!

جندي٢

لا أعرفُ السبب الذي جعل هذا المخبولَ يرفض اصطحاب من ملأ الدنيا بسيرتها، وشغلهم بأوصافها..؟

جندي٣

(**متحمساً**) آهٍ لو كنتُ مكانه لما تردّدتُ لحظةً في اصطحابِ من أعشق..

جندي١

(**هازئاً**) ربّما كان من أصحابِ الحبِّ العذريّ..

جندي٢

واثٍ لا أعرفُ كيف يبدو طعم هذا الحبِّ العذري..

جندي٣

أنا أقول لك.. طعمه كالخبز بلا ملح.. (**يضحكون**)

جندي١

دعونا نتتبّع أثره كي لا يضيع علينا..

الجنديان

هيّا..

الجوقة

(يصدر منها صوت دون حركة)

رأيتم جنوني، غير أني متيَّمٌ

وما ذاك إلّا أن ليلى خليلتي

جندي٢

صوته.. هذا صوته، فتّشوا عنه، لا شك أنّه يختبئ وراء صخرةٍ من هذه الصخور.. إنه قريبٌ منا..!

جندي١

أجل صوته.. **(يبحثون عنه بصورةٍ عشوائية دون جدوى)**

الجوقة

أهيمُ بها مذ كنتُ طفلاً وأقتفي

خطاها، وأشفي من هواها صبابتي..

جندي٣

كيف يتأتّى له أن يقول شيئاً وهو يتخفّى.. لا شكّ أنّه يملكُ سرّاً..

جندي٢

أمّا أنا فأشكُّ أن شياطين تساعده على الاختفاءِ.. **(تتحرّك الجوقة، يدبُّ الرُّعب في نفوس الجنود الثلاثة)**

الجوقة

(وهي تقبل ناحية الجنود، تطوّقهم)

أقمتم له في كل أرضٍ خطيئةٍ
أدنّس عرضاً، أم أحلَّ حراماً..؟!

(عيون الجنود فاغرة، والهلعُ بادٍ في تقاسيمهم، إظلام)
(إضاءة في بيت رجل مستضيفٍ لقيس، يوقظه من نومه)

الرجل

قم يا قيس، فجنود الخليفةِ يفتّشون الدّور عنك، وأنا - واثِ - لا أقدر على سترك، فإن أمنت على نفسي فإنني لا آمن عليك من زوجتي وجاريتي وغلامي أن تشره نفوسهم إلى المال، فيدلوا عليك، وأهلك بهلاكك، وإن صفح الخليفة عنك، لم آمن من أن تتهمني بأني دللت عليك، فيكون ذلك أقبح وأشنع، وليس الرأي لي ولك إلا أن تخرج عني.

قيس

وكيف عساني أخرج؟

الرجل

تخرج متنكّراً.

قيس

ليس لي في هذا الأمر سابقُ تجربة.

الرجل

أنا صاحبُ خبرة **(يساعده على التنكّر، أو يكون قد جهّز له قناعاً أو ما يعين على التنكّر السّريع كي يبدو درويشاً، يُريه وجهه في المرآة، إظلام)**

(إضاءة على مكانٍ آخر يظهرُ فيه شخصٌ آخر هو نسخةٌ شبيهةٌ بقيس يساعده على ذلك التنكّر الذي وضعه منذ قليل، أو القناع الذي ارتداه، يُصدمُ قيس برؤية الشّبيه)

الشّبيه

منذ قليلٍ كنتُ عنده.. **(ينظر إليه قيس باستغراب)** كنتُ عند الخليفة المأمون..قال لي سأتنازلُ عن إهدار دمك.. وعمّا قلته في ليلى مقابل أن تعمل كاتباً في ديوان الكتاتيب، أدوّن الصادر والوارد من المخاطبات.. قلتُ له: عليك أن تتوقف عن ابتزازي.. فالقضيّةُ ليست قضيّةً يسهلُ الأخذ والردّ فيها.. هي معقّدةٌ إلى الحدِّ الذي لا يمكن لعقلك أن يستكنهه..!

قيس

وكيف آمنت على نفسك حين قلت هذا للخليفة.. هل ثمّة متّسعٌ للحريّةِ، أم أن نفسك حملتك على ما لا تطيق؟!

الشّبيه

قلتُ ذلك وقفزت من أقربِ نافذة، وناورتُ الجنود

فاستطعت أن أموّههم.. وها أنا الآن أمامك متنكّراً..

قيس

هل أنت أنا..؟!

الشبيه

ربّما.. ظلّكَ على الأقل..! لكن ذلك لا يهم، إنّما المهم هو المبدأ..

قيس

قل لي ما الذي سنفعله الآن بملابس وأدوات التّنكر هذه إذا ما.. **(يظهر الجنود الثلاثة، يخفض صوته)** فاجأنا الجنود..؟!

الشبيه

نمارسُ لُعبة..

قيس

لُعبة..!!

جندي١

توءمانِ متشابهان.. أو مهرّجان بغيضان..

الشبيه

بل ممثّلان يشخِّصان حالات البشرِ، وطبائعهم.. **(يغمز إلى قيس في إشارة إلى المشاركة)**

قيس

(يفهم قيس مغزى إشارته، فيبادر) نعم.. ويقصّانِ في

تشخيصهما الأقاصيص التي تجري على ألسنِ النّاس من عبر وسير..

جندي٢

إذن فهيّا.. مثّلوا، أو شخّصوا، أو جسّدوا.. كما تحبُّون..

الشّبيه

نعم.. لكنّنا الآن..

جندي٣

لن تفلتوا من أيادينا اليوم إلّا بما تملكانِ من نوادر.. **(للجنديين)** نادوا في النّاس كي يتجمّعوا ليشاهدوا عرضاً مسرحيّاً..

جندي١

(ينادي) عرضٌ مسرحي، يقومُ به ممثِّلان، فنّانانِ، متضلعان من فنِّ المسرحِ، أو فنِّ الخدعةِ، فهلموا يا أصحاب الفرجة.. **(تتجمّع الجوقة، وكأنّها جمهور من المتفرجين، يأخذ الجندي مجلساً أمام الجوقة)**

جندي٢

هيّا ابدؤوا عرضكم..

قيس

(يهمس للشبيه) لقد أوقعتني في ورطةٍ دون سابقِ تحضير..

الشبيه

هذا هو فنُّ الارتجالِ يا صاحبي..

قيس

ارتجالٌ دون تحضير، كيف يكون ذلك..؟

الشبيه

نرتجلُ التمثيل، كما تُرتجلُ القصيدة..!

جندي٣

تأخّرنا.. هيّا.. نحن متحمِّسون.

الشبيه

فلنجسّد قصّتك..

قيس

أخشى أن أكشف سرِّي.

الشبيه

مجرّد تجسيد.. هكذا نقول لهم.. كي تنطلي لاحقاً فكرة التنكر عليك دون خشية.

قيس

حسناً.. ابدأ..

الشبيه

يا سادة يا كرام.. في هذا الزّمانْ، والعصر والأوان، كان هناك فنّان.. هائم في الصحارى والقفار، تكالبت عليه المحن، وتزاحمت على رأسه الإحن.. اسمه.. اسمه..

حارس١

قل ما اسمه؟

الشبيه

اسمه قيس..

الجنود الثلاثة

(يهبُّون في وقفةٍ واحدة) قيس..! أين وجدتموه..؟

قيس

تمثيل.. مجرّد تمثيل..!

الجنود الثلاثة

تمثيل صحيح.. **(يجلسون)**

الشّبيه

أنا سأمثِّل عمّه سعد، وهذا سيمثِّل قيس..

(تدخلُ ليلى بصورةٍ مفاجئة لقيس)

ليلى

وأنا سأمثِّل ليلى..

قيس

(مصدوماً.. لا يحتملُ الدّهشة)

الشبيه

(هامساً) تمالك نفسك..!

قيس

(منطلقاً دون وعي)

ألستِ التي جارت على القلبِ قبل ما

تخورُ القوى منِّي، فألقى بلائيا..؟!

الجوقة

الله!

الجنود الثلاثة

(يهبُّون من مكانهم، وهم يشيرون إليه بأصابعهم) قيس..!

الشبيه

(ساخطاً) اتفقنا على أنّه تمثيل.. هل تدعوننا نكمل أم نرحل عن بلدكم..هذا الذي لا يجدُ فيه الفنّان مراغمَ كثيرة..؟!

جندي٣

بل أكملوا..

ليلى

بلى، إنني ليلى، شُغِفْتُ محبَّةً
بقيسٍ، ولكنِّي خشيتُ الدواهيا..!

الجنود الثلاثة

(يهبُّون من مكانهم، وهم يشيرون إليها بأصابعهم) ليلى..!

الشبيه

تمثيل.. قلنا تمثيل، ألا تفقهون..؟ أخرجتموني من جوِّ التمثيل..

جندي٢

نعتذرُ إليك.. هيّا كيّف مزاجك..

الشبيه

(**مقلّداً بسخريّة**) كيّف مزاجك..! تحسبُون الأمر مجرّد حركةٍ لا شعورَ فيها، ألا تفهمون أن الفنّان إذا ما أعاقه معيقٌ عن أداءِ دورهِ فإنّه لن يُنتجَ ما يستحقُّ الالتفاتَ إليه..

جندي١

لا تهمّنا معرفة هذه الأمور..!!

جندي٢

أعجبتني لفظة ينتج..!

جندي٣

هيّا أكملوا..!

الشبيه

(يهدأ من حالةِ الامتعاض، صمت قصير يتهيّأُ فيه ليقوم بدور والد ليلى)

فإن كان في ليلى شفاؤكَ يا فتى فإن نجيعاً منك بُرءٌ لدائيا..!

جندي٢

رجل. لا غبارَ على نخوتك..!!

قيس

(مُجيباً للشبيه)

فاعلم بأن الحبَّ ليلى إذا دنت.. يموت وإن تنأى تبثُّ القوافيا

الجوقة

ما أروعَ الكلام..!

الجنود الثلاثة

(يهبّون واقفين) إنّه لقيس..! (ينظرون للخلف ليتحدّثوا إلى الجوقة) هل تشهدون؟! (الجوقة جميعها ترتدي قناعاً موحداً كقناعِ قيس.. يدخل قيس والشبيه في الجوقة فلا يُفند من بينهم)

الجوقة

سيسري الكلامُ كسري النّسيم.. إلى الوردِ فوق رؤوس العسس..!

جندي٣

أفلتَ من أيدينا ثانيةً.. كنتُ أشكُّ فيه.

(يظهر الخليفة في مكانٍ عالٍ من جهة، وفي المقابل يظهر سعد، وكأنّهما يحاصران الجوقة)

الخليفة

مسرحيّةٌ خادعة.. حسبتم أنها هزل.. وهي لعمري طريقةُ مثلُ هذا حينما يُحاصر..!

سعد

لن يبتعد بعيداً، سيموتُ على صخرةٍ، أعزل..

الخليفة

اسمع يا قيس.. سنعفو عنك، ونحقنُ دمك، ونزوّجك محبوبتك ليلى..

الجوقة

ومعها قيس والشبيه ومن قال إن القربَ للقلبِ راحةٌ
وإني إلى اللقيا خليلاً مُدانيا..؟!

الخليفة

(آمراً حرّاسه وقد غضب) إذن فلتعنكم ليلى على كشفِ سرّهِ بعد أن تطوقوا كلَّ الأشباه..!

الجوقة

(تغني وهي تُخفي قيساً، تغيظ في حركاتها الجنود الثلاثة، جندي٣ يسقط على رأسه)

متوسّداً كلماته، منقوشةً فوق الصخور
مسترسلاً في شعرهِ، متخلّلاً بين الدّهورْ
متجاوزاً شيخ القبيلةِ، أو مقاتلها الهصورْ
متسللاً بسلاسةٍ نحو الخدورِ أو القصورْ

(يُرى قيس وهو يخرجُ بهدوء، وقد نزع عنه القناع، إظلام)

قيس

يُنشد:

تُـعـينهـمُ ليلى لأجـلِ مـنـيَّتي لحى اڤ ليلى إن تريدُ مماتيا..؟!

(يقابلُ المتنبي في طريقهِ من حلب إلى مصر)

قيس

(بإكبارٍ وإجلال) أبو الطّيب المتنبي.. أميرُ الشُّعراء..!

المتنبي

علمتُ أنّك طريد.

قيس

وأنّك مُفارِقٌ، شريد.

المتنبي

حُجِب عنِّي ما طلبت..!

قيس

لو قبلتَ لانكببت على منخريك فوق سريرِ الإمارةِ، بعد أن تكون لسانك اعتادت على المدائح الرخيصةِ، المتكلِّفة..

المتنبي

أفتحلُّ لغيرنا، ونحنُ بالإمارةِ أجدر..؟!

قيس

ليسَ غير الهيامِ إمارة، وليس غير الغرامِ عرش، وليس غير الجنونِ تاج..

المتنبي

هِمْ إذن في وهمك..

قيس

وهِم أنت في غرورك..

المتنبي

ستموت أعزل..

قيس

ولن تكونَ بحالٍ أفضلَ مني حين تحين المنيَّة.. **(يفترقان)**

(إضاءة، قيس وهو يلجأُ إلى امرأة مغنِّية)

قيس

يا امرأة، أنا مطاردٌ، فأجيريني واحقني دمي..

المرأة

ادخل ستر اژ عليك.

قيس

ژ درّك.. لقد أفلتُّ منهم بأعجوبة..! كاد أحدهم أن يقبض عليَّ لولا أن زلق ووقع على رأسه وتعادى الناس لخلاصه..

(يختبئُ في زاوية)

(يدخل زوجها وهو الجندي الثالث الذي شجَّت رأسه..)

جندي٣

(يتألم) آي.. الحقيني يا أسماء.. كدنا على مقربّةٍ من الغنى والثراءِ

المرأة

ما الذي حدث؟

جندي٣

كنتُ على وشك القبضِ على قيس، لولا أن قدمي زلقت، فسقطت على وجهي.. الحمد ژ أن الجرح ليس غائراً..

المرأة

وأين هرب قيس..

جندي٣

لا أدري.. ليتني أراهُ فأنتقم لنفسي منه..

المرأة

(تمسكُ عوداً، فتعزفُ عليه، وتغني، وهي تقصدُ قيساً)

لستَ وحدكْ، إنني جرحٌ ونارْ أكتوي بالحبِّ ليلاً ونهارْ

أقصر الوصل ولا ترجو الصّفا إن بين الصبِّ والصّبِ جدارْ

قم وغادر، إن للجدران سمعاً وبعودي أسترُ الوقعَ المُثارْ

(يفهم قيس مقصدها، ويغادر)

"إضاءة على مقهى شعبي، تتصاعدُ فيه توسّلات الروّاد (هم في الأصل الجوقة) إلى الرّاوي صاحب صندوق الدنيا وهو رجلٌ عجوز، لكي يروي لهم حكاية شعبيّة وهو يرفض"

رجل١

نرجوك أن تُكملَ لنا الحكاية..

رجل٢

هل يرضيك أن نزعلَ منك..

رجل٣

من أجل خاطري يا أبا سعيد.. أكمل لنا الحكاية التي بدأتها بالأمس..

الرّاوي

يا جماعة افهموني، ألم يكن عندي مساعد بالأمس..؟

الجميع

بلى..

الرّاوي

هل ترونه اليوم معي؟

الجميع

لا

الرّاوي

ذلك لأنّه لا يملك المال كي يكتري حماراً فيأتي إلى التدريبات التي أقيمها في بيتي..

رجل١

لماذا لم تعطه أجره..؟

الرّاوي

أنت أجب عن هذا السؤال؟ هل تدفعون لي أجراً مقابل الحكاية..؟ (**همهمات من الجميع دون إجابة صريحة**) لقد تلكأتم أليس كذلك..؟

رجل٤

لكنّا لا نملك مالاً..!!

الرّاوي

لكنّك تجد المال لكي تدخّن النرجيلة..!! (**يضحك عليه**

البعض) ومع أنّكم تأتون لفرجةٍ مجانيَّة، لا تأنفون من إلقاءِ الكلماتِ السفيهةِ التي تعلّقون فيها عليَّ وكأنني مهرّجٌ ولستُ مشخِّصاً، قبّحكم اثر!

رجل٢

عليك أن تشكرَ اثر أن وجدتَ من يعيركَ سمعاً مع أنّكَ مدّعٍ للروايةِ، زاعمٌ في هذا الفنِّ..

الرّاوي

أوّهُ من حدّةِ الحقدِ التي تنشبُ أظفارها من عينيك.. أهذا لأني مجتهدٌ في صنعتي، عاشقٌ لفنِّي أنفرُ من وضع ركبتيَّ بعضهما على بعض في مقهىً كما تفعل أنت مستمعاً إلى فرجةٍ مجّانيّة..؟!

رجل٢

كيف تريدنا أن ندفع لك أجرة الفرجةِ وأنتَ تسردها متغافلاً عن بعض التفاصيل..

الرّاوي

متغافلاً عن بعض التفاصيل..!! **(يشيرُ إلى الظّلمةِ حيث الجنود الثلاثة)** ألم تر بأمِّ عينيك أنني كلّما أذكرُ شيئاً من التفاصيلِ، يأتي هؤلاءِ فيصبّون فيهدّدون ويتوعدون..

جندي٣

(يخرج ووراءه الاثنان) هل كنتَ تريدُ أن تترك لتقول ما تشاءَ..

الرّاوي

لكنَّ هذا فن، والفنُّ يمازجهُ الخيال..

جندي٢

وفي النهايةِ هو كلام. أليس كذلك..؟

الرّاوي

لكنّكم تبترون الحكاية، تقطّعونها إرباً، وتحمّلونها فوق ما لا تحتمل.. إن عليَّ أن أتوقّفَ عن هذه المهنةِ التي لا تجلب لي سوى العذاب..

جندي١

هذا ليس شأننا.. ربما الأفضل لك أن تبيعَ البرسيم في سوق المواشي.. **(يضحك هو وزميلاه وهم خارجون)**

الرّاوي

(لرواد المقهى) وتريدون منِّي أن أستمرَّ في التّشخيص.. أتدرّب في الخرابات، وأعرضُ في المقاهي، ولا أحصلُ على مال، وتصفع وجهي التّفاهات.. هل هذا ما تريدونني الاستمرار فيه..؟ **(حالة إحباط عامّة، فجأةً ينارُ المقهى، جزء من الجوقةِ مع ليلى وقيس يؤدّون رقصةً تعبيريّة مع أغنية يقصدون فيها إلى الترويح عن الرّاوي العجوز)**

يا أسيرَ العشقِ في ليلِ الزوايا.. مثخنٌ جرحك، والقلبُ بقايا
بددٌ تحيا، فلا تدري متى تُخْمدُ النار التي بين الحنايا
اسألوني، عاشقاً عشتُ مداناً بجنوني، كيف أشقتكَ النوايا؟!

أنا قيسٌ، هائمُ الوجدِ، معنّى عشتُ ما بين قفارٍ وزوايا..!!
وإذا مت يقول النّاس عنّي ليت قيساً لم تغيِّبه المنايا..!

(ينقضّ الجنود الثلاثة على قيس..)

جندي١

أخيراً قبضنا عليك..

جندي٣

بعد أن قبضنا على زوجتي الخائنة التي آوتك..!

جندي٢

فضحتك نفسك..!

قيس

أو فضحتم أنفسكم (إظلام)

(إضاءة، في بلاط الخليفة، وهو مولٍّ ظهره لهم، في حين يكون في المشهدِ، قيس الحاسرُ الحافي، وليلى وسعدٌ والدها، والجنود الثلاثة وأسماء)

جندي٢

قبضنا على الغنيمةِ يا مولانا، ونحن بانتظار ما أعلنتَ من مكافأة..!

جندي٣

لقد شُجّت رأسي يا مولانا بعد أن زلقت رجلي.. ولكن الخاتمةَ ضمّدت جرحي.

أسماء

واثِ إنّك لتستحقُّ أن تشجَّ رأسك.. فليس لامرئ لا يملك مروءة مأمن..!

جندي٣

هلّا تندبين حظّكِ وقد أصبحت طالقاً..؟!

سعد

(لقيس) هل كنتَ تحسبُ أنّك ستهيمُ دون بصير في أرضٍ تنتشرُ فيها العيون؟!

الخليفة

(يسجدُ.. ثم حين ينهضُ من سجدته يُقبلُ على قيس وهو يردّد) ليس لامرئ لا يملك مروءةً مأمن.. صدقتِ يا امرأة.. أوَتعلمُ يا قيسُ لم سجدت؟

قيس

نعم، شكراً ژ تعالى الذي أظفرك بعدو دولتك قيس بن الملوّحِ مجنون ليلى..

الخليفة

بل لأن هناكَ من يجري المنطق على لسانهِ في مقامِ الهيبةِ؛ حضرةِ الخليفةِ، فلا يتهيّبُ منه، فما قالتها المرأةُ من مقولةٍ بلغت أثراً عميقاً في نفسي.. **(للجنود)** ما حملكم على ما فعلتم؟

الجنود

رغبةٌ في المالِ يا مولانا..

الخليفة

أمرنا بضربهم مئة سوط وسجنهم..!! أما المرأة (**يقصدُ أسماء**) فتلحقَ قهرمانة في دور النساءِ، فهذه امرأةٌ عاقلةٌ أديبة.

أسماء

(تنحني شكراً، وهي تنظرُ بابتسامٍ إلى مطلّقها جندي٣)

قيس

حسبتُ غير ما أشهدُ الآن.. ولا أكادُ أعي ما يحدث..!

الخليفة

إن من الكياسةِ أخذَ الأمرِ بالسياسةِ.. فلا يؤخذُ التدبيرُ بالحزمِ في موضعِ اللّين، ولا باللّينِ في موضع الحزمْ، فلكلِّ أَمرٍ حسابٌ وعاقبة.. على كلّ حال.. أمّا قيس..

قيس

له الهيامُ فما يحيا بغير هوىً ولا يعيشُ إذا نارُ الجوى تخبو

أطلق جناحيَّ في وادي المياهِ ترى مني عجاباً، إذا ما صرتُ أنتحبُ

سعد

واثٍ يا مولاي إنِّي لأراهُ صريعَ هواهُ على صخرةٍ، وإني لأعلنُ قبل أن يتحقَّق هذا المصير أنني أقبل بزواجهِ من ليلى..

الجوقة

(مقاطعةً إشارة الخليفة بالموافقة)

لا يُبدَعُ الفنُّ إلّا عن مكابدةٍ.. هذي عذاباتهُ نارٌ على غصصِ

الخليفة

لا بد أن نركنَ إلى أخفِّ التدابير، وهنا أقضي بخضوع قيس لأمري بالزّواجِ من ليلى، على الأقلِّ هذا ما يخفِّفِ غضبَ العشيرةِ ودولةِ الخلافةِ عليك، ولعلّهُ يُلهيكَ عن أمورٍ لستَ أنتَ في قامتها..!!

قيس

أهو القسرُ أم الخيار..؟

الخليفة

لا تملكُ خياراً يا قيس (**يقلّبُ سيفه في يده**)..؟

قيس

قبلت.. ولكن (**يلتفتُ إلى خلفه، تكون الجوقة وليلى قد ارتدوا قناعاً أُنثوياً موحَّداً**)..أيُّ ليلى تقصد يا مولانا الخليفة..؟!

سعد

(**حائراً**) كانت هنا ليلى ابنتي.. كانت بالقربِ مني!

الخليفة

(**غاضباً**) أين اختفت هذه المشؤومة، أبعد أن قضينا بأمرٍ يُسعدها تتلاشى هكذا، (**ثم يتساءلُ بحيرة**) من هي ليلى هذه..؟!

قيس

(**تبدو على وجهه ابتسامة**) حينما تعرفُ من هي ليلاي..
ابعثِ لي من يطلعني على السرِّ في وادي المياهِ.. (**يخرج**)

الجوقة

ليلاك يـا قـيسٌ مـرايـا ليس يـعـرفـهـا سـواكْ
لا يُكْشَف السرّ الدّفين وقـد تـلاشى في هـواكْ

(انتهت المسرحية)